رواية

يهودى
فى شارع الغجر

عماد سالم

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : يهودى فى شارع الغجر
المؤلف : عماد سالم
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم الغلاف : محمد عطية
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٦٧٨٢ / ٢٠١٦
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 341 - 7

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
Email : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

موشيه

حيفا ٢٠ ديسمبر ١٩٩٥

لم تستطع الأمطار والثلوج والرياح العاتية أن تحول بين موشيه وحضوره لبار جاكوب الشهير فى حيفا الذى اعتاد السهر فيه كل ليلة، فالساعة لم تتجاوز العاشرة مساءً وهو من المستحيل أن ينام مبكراً أو يظل حبيس البيت، فإستر لا تطاق، والتليفزيون الكئيب كل محطاته تذيع أخبار الإرهابيين وتشحن جهاز الرعب الذى يُعطى لكل مواطن مع تجديد الهوية حتى يبارك الجميع قتل كل هؤلاء الفلسطينيين الإرهابيين، وحزب الليكود يذيع إعلانًا جديداً ليضم أعضاء جددًا كأنه يعلن عن وجبة ماكدونالدز، وكل القنوات تذيعه كل خمس دقائق، جميع الأفلام المصرية القديمة التى يحبها قد شاهدها أكثر من مرة والجديدة لا تجذبه فهى مملة وقصصها مكررة.

منذ أن هاجر والده إلى إسرائيل مرغماً تاركًا الإسكندرية الجميلة بعد مولده بعام واحد وهو يعيش فى ضواحى جبل الكرمل فى حى حيفا الكئيب مع أمه وزوجته بعدما مات والده، ورغم

أنه مازال محتفظاً بشهادة ميلاده كذكرى مكتوب فيها اسمه: موسى إبراهيم مزراحى، يهودى مصرى من مواليد الإسكندرية فى ديسمبر ١٩٦٥، فإنه يحب إسرائيل، وطنه، ومستعد لفدائه بالروح، مع أنه يهودى غير متدين، ولم يره أحد يصلى أو يحضر عظة فى المعبد، ولكنه رغم ذلك كله يكره الفلسطينيين بنفس القدر الذى يحب به اليهودية، فقد ضحى أبواه من أجلها بكل شىء، المال والأرض والعقارات؛ فقد كانت أسرته من أغنى أغنياء الإسكندرية. وموشيه يتكلم العبرية بطلاقة مع رفاقه وزملائه فى العمل والعربية مع والدته بلهجتها المصرية كأنه مصرى يعيش فى مصر، حتى زوجته إستر تفهمهما وتتحدث معهما ولكن بلهجتها العراقية فهى من يهود العراق الذين هاجروا إلى إسرائيل.

لم يدخل موشيه المعبد فى حياته سوى أربع أو خمس مرات إلا أنه يعتقد أن اليهودية دينه الصحيح؛ لأن والده الذى يشهد له الجميع بذكائه الخارق وحبه للمال كان يكفيه أن يعلن إسلامه ويبقى فى مصر كما أشارت عليه أمه أديفا، لكنه أبى واختار اليهودية وضحى من أجلها بماله الذى هو أقرب إليه وأغلى من روحه، كان موشيه يؤمن أن إسرائيل وطنه الذى يحمى يهود العالم من بطش العرب الإرهابيين الذين يعلمون أبناءهم القتل وهم دون الخامسة من عمرهم ويشربون الدماء بدلاً من الحليب.

أتم موشيه الثلاثين من عمره دون أن يحتفل بعيد ميلاده، فقد اكتفت إستر بثلاث شمعات أضاءتها فى غرفة نومهما الأسبوع

الماضى فأخذها فى أحضانه وناما، وفى الصباح قالت له أمه: كل عام وأنت بخير ياموشيه.

انتشر الشيب فى رأسه رغم سنه الصغير ولكن أديفا أمه دائما تقول له، وهى تطمئنه،: الشيب وراثه، فأبوه كان مثله تماماً حتى عوده الرفيع رغم أنه كان أطول، ولونه أسمر ومنخاره الطويل وعيناه الغائرتان وانحناءة ظهره البسيطة، والفرق بين أسنانه، وأذنه الطويل كلها وراثة من أبيه.

– أنت صورة طبق الأصل من أبيك ياموشيه، غير أنه كان مؤمنًا، متدينا، لكنك تشبهه فى الشكل فقط.

ورث موشيه عن أبيه ورشة للأخشاب والموبيليا إلا أنه دائما مايشتكى من ضيق العيش، مدعياً أن دخل الورشة لايكفى الضرائب وأجور العمال، فالتعسر سمة دائمة من سمات موشيه الذى لايصادق فى إسرائيل كلها إلا جاكوب، ولا يذهب إلى أى مكان لقضاء وقت ممتع إلا إلى بار جاكوب.

– أهلا موشيه، لقد تأخرت الليلة، كنت أعتقد أنك لن تأتى.

– لن آتى؟! كيف لا آتى؟! ولى ثأر عندك.

– بل لك هزيمة أخرى.

– لابد أن تعرف ياجاكوب أن الحظ حالفك أمس.

– وأول أمس؟! والأسبوع الماضى؟! والشهر الماضى؟! ياعزيزى

أنـا أهزمـك طـول الوقـت، فعندما تسـألنى عاميـت، زوجتـى: إلى أيـن أنـت ذاهـب ياجاكـوب؟ لا أقـول لهـا إلى البـار، بـل ذاهـب كـى أهـزم موشـيه وألقنـه دروسـاً جديـدة فى البليـاردو وأجعلـه يرجـع إلى منزلـه مفلسًـا ككل ليلـة.

– الليلـة ليسـت ككل ليلـة ياجاكـوب، اشرب كأسـك، ولنبـدأ المبـاراة عـلى مائـة شـيكل.

بار جاكوب

فى أرقى مناطق حيفا استطاع جاكوب أن يشترى هذه الفيلا التى كانت لثرى فلسطينى هاجر تاركًا إياها بعدما صفى مشروعاته واستقر فى سويسرا فى أواخر الثمانينيات، لم يضف جاكوب إليها الكثير من الديكورات، بل هى تصلح فندقا وليست مجرد بارٍ، فمساحتها الكبيرة التى تربو على ألفى متر مربع وموقعها الخرافى - فهى تطل بجميع نوافذاها على البحر المتوسط - جعلاها مزارًا رائعًا يرتاده معظم سكان حيفا.

جاكوب ليس صاحب مقهى سياحى أو بار تقليدى، هو شخصية مركبة، سياسى مع السياسيين، فيتكلم كمحلل سياسى مخضرم، ورياضى مع الرياضيين ويبدى آراءه كأنه محلل رياضى وكبير النقاد، كما أن آراءه الفنية وحبه للغناء القديم تجعلك تعتقد أنه قد درس النقد فى الأكاديميات المتخصصة، أما تحفظاته على الخطط العسكرية التى يقوم بها الجيش الإسرائيلى فلايبديها غير قائد عسكرى كبير، فكل رواد البار هنا يعتبرونه مثقفًا وقريب جدًا من وجهة نظرهم وميولهم، فتراه قريبًا من كل رواد البار، كما أنه يأتى بأعمال مدهشة، فيغسل الصحون بنفسه وهو يتابع

نظرات التعجب فى عيون العاملين لديه فى البار فيشتعل نشاطهم، ويقدم بنفسه المشروبات للزبائن بابتسامة لاتغيب عن وجهه أبدًا، طالبًا العفو دائما والسماح من كل رواد البار، احتياطيًا، حتى إذا لم يصدر منه أو من العاملين لديه بالبار ما يستوجب ذلك؛ فهو على كل حال لا يترك أحدا يغادر البار إلا بعدما يتأكد أنه مسرور وراض عن الخدمة التى يقدمها بار جاكوب.

وجاكوب من اليهود الأوربيين الذين نالوا كل الامتيازات فى إسرائيل، من أبوين فرنسيين يعمل طوال حياته فى الفنادق فقد تدرج فيها حتى أنه لم يترك تخصصا إلا وقد عمل فيه لسنوات كما أنه يملك أسلوبًا ساحرًا يجب أن يدرس فى فن البيع، ساعده على ذلك وسامته وملامحه الأوربية، شعر أصفر وعينان زرقاوان وقوام رياضى متناسق، فهو يصلح أن يكون نجمًا سينمائيًا وهذا ما جعل عاميت تطارده فى كل مكان حتى تزوجها رغم أنه كان مفلسًا، لكنها تعهدت بكل شئ.

بالطابق الأرضى من بار جاكوب حديقة كبيرة بها العديد من الطاولات الأنيقة حولها كراسٍ رائعة قد صنعها على الطراز الإيطالى فى ورشة صديقه موشيه، فهو الذى أتى له بالرسومات وما كان على موشيه إلا التنفيذ فصارت رائعة، وفى الحديقة بار صغير ولكن ما أن تنظر فى وسط الحديقة حتى تجد سلمًا من الجرانيت به أربعة درجات، وعلى جانبيه ترابزين مدهب، تصعد درجات السلم الأربع تجد نفسك فى ريسبشن كبير يمثل الطابق

الأرضى من البار، أما الدور الثانى ففيه صالة كبيرة للقمار والبلياردو، فبعدما عجز عن استصدار رخصة جديدة لصالة القمار استطاع جاكوب أن يحول صالة البلياردو إلى صالة قمار، فمعظم زبائنه يحترفون لعبة البلياردو فاستغل ذلك وكان أول من نظم لهم المبارايات وفتح باب المراهنات بطريقة تبدو عفوية وغير مرتبة، فكان أول من راهن وخسر فأغرى من كسب الرهان فظل يراهن فاشتعلت المراهنات التى يحصل جاكوب منها على ٣٠٪.

وتعتبر عاميت زوجته هى المالك الحقيقى للبار، مع أنه يحمل اسم جاكوب؛ فهى التى دفعت كل الأموال لشراء هذا البار، عندما عرض عليها المشروع وافقت فورًا ولكن بشرط واحد، أن يتزوجها أولًا، ويدير البار بخبرته الكبيرة، فيكون عائد البار مناصفة بينهما ولكن جاكوب أصر على تسمية البار ببار جاكوب لأن هذا هو حلم حياته، فقد قضى عمره كله فى أوربا يعمل فى البارات والفنادق، ويحلم باليوم الذى يعود فيه لإسرائيل ويكون له بار شهيرٌ، وفوقه لافتة بالنيون تضئ وتطفئ، مكتوب عليها بار جاكوب .

- ألم أقل لك ياموشيه؟! أنت لاعب هاو، ولن تصل إلى مستوانا، نحن محترفون. قالها جاكوب بسخرية وفكاهة.

- أقسم لك بالرب أن الحظ وليس سواه هو الذى يهزمنى، فلم تبق سوى كرة واحدة..

فباغته مقاطعًا :

- ياعزيزى أنت دائما تسئ الاختيار، وثقتك بنفسك ليست فى محلها، عليك أن تختار لاعبًا عاديًا مثلك أنت، مالك أنت وجاكوب العملاق، إننى محترف ياصغيرى.

يجز موشيه على أسنانه من الغيظ، فقد خسر ماله كله، ويبدو أن المال وحده لايكفى جاكوب، بل إنه يريد أن يقضى الليل كله فى الاستهزاء به وتصويره على أنه لاعب ساذج ولايستطيع مجابهته.

- إذا لم تكف عن طريقتك المستفزة فى الحديث معى فلن آت إلى هنا مرة أخرى.

تراجع جاكوب مقدمًا اعتذاره مؤكدًا أنه كان يمزح معه؛ فهو رجل جاد ولا يمزح إلا مع أصدقائه المقربين، وموشيه واحد منهم.

خرج جاكوب وموشيه من صالة البلياردو فقال جاكوب :

- مارأيك فى سيجارة حشيش مغربى « بيور» غير مخلوط؟

- هذا هو الكلام ياجاكوب، لكن أين؟!

- فى مكتبى.

دخل موشيه مكتب جاكوب البيضاوى، الذى تحيطه مرايا من كل جهة تمكنه من رؤية البار من جميع جوانبه، ورؤية جميع رواده دون أن يراه أحد منهم، خزانة نحاسية رقمية كبيرة على يمينه، لايضع فيها نفودًا أبدًا، فهو يضع أمواله فى جيبه، وإذا

زادت دسها فى مخبئ داخل الغرفة لايخطر على بال بشر حتى الصباح ليودعها فى البنك، وأمامه الكمبيوتر يراجع فيه كل جديد من أسعار العملات وأسهم البورصة، فبينما هو يقلب فى صفحات النت ويتجول سريعا بين المواقع قاطعه موشيه :

– أين المغربى يارجل؟

– أين الدولارات ياحبيبى؟

– لقد أصبحت مفلسًا، عيب عليك ياجاكوب، لوكنت حافظت على مالى الذى خسرته هنا عندك لاشتريت بارًا مثل هذا.

يتراجع جاكوب.

– هل غضبت ياموشيه؟ أعتذر ياصديقى، كنت أمزح معك، بل أنا الذى أعزمك على المغربى وأرجوك أن تقبل دعوتى.

وأخرج ورقة بفرة وأخذ يلف السيجارة بيده، فرأى موشيه أمامه ماكينة لف، فقال مستنكرًا :

– لماذا لاتستخدمها ياجاكوب؟!

– إنه مزاج عندى ياصديقى، أحب أن ألف السيجارة بيدى.

وقدم له السيجارة الملفوفة.

– تفضل.

وما أن أخذ نفسًا منها حتى قال :

- جحيم ياجاكوب، لماذا تفعل بنا هذا يارجل؟!

ضحك الاثنان:

- إن لى صديقٌ يدعى شاؤول، سأعرفك عليه قريبًا، مليونير من أصول مغربية مثلك ياموشيه.
- أنا من أصول عربية مثله، ولكن من مصر وليس المغرب.
- هو من المغرب، فأبوه وأمه مغربيان، ويستطيع الدخول والخروج فى أى وقت.

يسمع صوت باب المكتب يفتح، وخبط خفيف.

- هذا هو.
- من ياجاكوب؟!
- صديقى شاؤول الذى كنت أحكى لك عنه.
- شالوم.

قالها شاؤول فقام موشيه وجاكوب مرحبين به.

- شالوم ياحبيبى وصديقى العزيز، أقدم لك صديقى الرائع موشيه، صاحب مصنع موبيليا كبير بحيفا.
- لا تصدقه ياسيد شاؤول، بل هى مجرد ورشة صغيرة لاتحقق أية أرباح.
- فرصة سعيدة ياسيد موشيه.

- كنا سنشرب نخب هزيمتى لموشيه فى البلياردو، فلك نصيب أن تشرب معنا.

- رائحة السيجارة مغرية أكثر، أنت تعرفنى جيدًا ياجاكوب، فأنا لا أحب الخمر، بل أعشق الحشيش، فهو يجعلنى شديد الصفاء والتركيز.

- غريبة؟!

قالها موشيه.

- وما الغريب فيها ياسيد موشيه؟!

- لقد أخذت نفسين فقط من السيجارة فقدت على إثرهما صوابى، وأنت تحدثنى عن الصفاء والتركيز.

فضحك، وضحك جاكوب وشاؤول.

مال شاؤول على جاكوب قائلًا :

- هل لى أن أحدثك على انفراد؟

- انفراد؟!! قل يارجل، موشيه صديقى وأنا لا أخفي عنه شيئًا.

- أرى أن أستأذنكما، يجب علىّ أن أنصرف.

- أبدًا، عليك أن تبقى ياعزيزى، قل ماعندك ياشاؤول سيعتقد صديقى موشيه أننا نخطط لانقلاب عسكرى، وهو يضحك.

- سأتكلم.

قالها شاؤول بترقب:

- مارأيكما فى الحشيش الذى جئت به من المغرب؟

- رائع.

قالها جاكوب مندفعًا.

- لى خال فى المغرب، تاجر كبير، أرسل لى هذه العينة، ويريد أن ندخلها إسرائيل ونسلمها لتاجر هنا، والمكسب قد يتجاوز مائة وخمسين فى المائة.

- فى السنة.

قالها موشيه.

- بل فى العملية الواحدة.

- وكم تستغرق من الوقت هذه العملية؟

- عشرة أيام على الأكثر.

موشيه محدثا نفسه بصوت عال يسمعه رفاقه :

- عشرة أيام !! مائة وخمسون فى المائة !!.

فتدخل جاكوب:

- وما المطلوب منا يا ياشاؤول.

وهو ينظر إلى موشيه، فقد اعتبره موافقًا على الاشتراك فى العملية.

– مائة ألف دولار.

– ونأخذها مائة وخمسين ألف بعد عشرة أيام.

قالها موشيه، فقاطعه جاكوب :

بل مائتين وخمسين ألف دولار ياموشيه، سنأخذ المبلغ الأصلى بالإضافة للأرباح مائة وخمسون فى المائة، أنا سأشترك بسهم الآن، السيولة حاليًا ضعيفة ياشاؤول.

– كم تدفع؟

– عشرين ألف دولار وآخذها خمسين ألف بعد عشرة أيام.

قالها جاكوب.

– اتفقنا.

قالها شاؤول لجاكوب وهو ينظر إلى موشيه:

– ألا تشترك معنا ياصديقى؟

– سيأخذ تحضير المبلغ منى وقتًا، ولكن بالتأكيد سأشترك معكما، ولكن بشرط واحد.

– ماهو؟

– أن يقتصر دورى على التمويل فقط .

– طبعًا طبعًا.

أديفا

القاهرة الخميس ١١ يناير ١٩٦٤

اعتاد إبراهيم مزراحى أن يسهر كل ليلة خميس فى فرح شعبى فى شوارع القاهرة سواء كان مدعوًا من أهل العريس أو من أهل العروسة أو مدعوًا من فرقة صلاح الأصيل التى كانت تحيى معظم الأفراح فى الضاهر وغمرة والسكاكينى، مع أنه يقيم فى الإسكندرية وعائلته كلها تسكن فى محطة الرمل، فورشته التى تخصصت فى صناعة الموبيليا والتى ذاع صيطها وتدر عليه دخلاً كبيرًا، فى الضاهر، وقد استأجر شقة صغيرة جوارها حتى لايضطر إلى السفر كل يوم إلى الإسكندرية، وهو يحب الأفراح خاصة التى يحييها صلاح الأصيل مطربه الشعبى المفضل وهو يشرب زجاجات البيرة ويضرب أنفاس الحشيش على جوزته التى صنعها بيده لتصير تحفة لافتة لنظر كل الجالسين فى الفرح.

اقتربت من طاولته فنظر إليها، فوجهها الذى إذا طاله بعض الماء النظيف وارتدت فستانا يظهر محاسن جسدها الرائع بدلاً من « الجلبية « المهترئة وحذاء يحمي قدميها من الزجاج المتناثر فى الأرض والحصى الذى يؤلمها فتمشى كأنها تقفز، لصارت أجمل

مـن فتيـات الحـى كلهـم؛ فهـى بيضـاء، طويلـة، واسـتدارة وجههـا تليـق بهـا، بغمازتـين تجمـل بسـمتها الطفوليـة المسـترة وراء حاجـز الشـقاء والبـؤس، وعـلى كل حـال فهـى مازالـت طفلـة لم تتجـاوز السادسـة عـشرة مـن عمرهـا.

– هـل تشـترى منـى بعـض الفـول السـودانى ياسـيدى، معـى حمص الشـام والترمـس (مـزة) طاظة.

– ما اسمك؟

– كريمة.

– أديفا.

– ماذا تقول ياسيدى؟!

– لا عليكِ، بكم كل ما لديك يا أديفا؟

– كل مالدى؟

– نعم.

– ثلاثة جنيهات كاملة.

– ثلاثة؟

– إذا كانـت كثـيرة فادفـع ماتريـد، فقـد تعبـت طـوال النهـار، ولم أبـع شـيئًا ممادفعنـى أن أبيـع فى الفـرح، فهـذه هـى أول مـرة أبيـع فى الأفـراح.

– لهذا السبب لم نلتق من قبل؟

قالها إبراهيم وهو يعطيها المبلغ، احتلت الابتسامه سائر وجهها وأبت أن تفارقه، وظلت مبتسمة حتى خرجت من الفرح عائدة إلى بيتها.

رغم أن رفاقه الذين كانوا يجلسون معه على الطاولة كان لهم رأى آخر فى كريمة، إلا أنها استولت على تفكيره وندم أنه لم يتفق معها على موعد قادم أو حتى يعرف أين تسكن.

مر شهر على هذه الليلة ونسى إبراهيم كل ماحدث فيها، فقد حضر بعدها ثلاثة أفراح ورأى أناسا آخرين، وتحدث فى أمور أخرى غطت على هذه الليلة وكأنها لم تكن.

وبينما هو جالس فى ورشته فى الضاهر، فإذا بها تظهر من جديد تمر فى الشارع دون أن تلتفت، عرفها، فصورتها لم تفارق باله.

– أديفا، كريمة.

قالها مناديا عليها.

تسمرت فى مكانها، فلحق بها، فنظر إليها بنظرة حانية، فقالت له:

– لم تنادينى أديفا؟! هذه هى المرة الثانية التى تنادينى فيها بهذا الاسم، أنا اسمى كريمة.

– نعم، صحيح، فأنا يهودى يا كريمة، وكريمة فى اللغة العبرية معناها أديفا، وهو اسم جميل، ألا تشربين معى كوبًا من

الشـاى؟ أريـد أن أتعـرف عليـكِ يـا أديفـا.

- بـكل سرور، ولكنـى أخشـى الا تجـد معـى ماتتمنـاه، فأنـا فقـيرة ويتيمـة، أعيـش وحـدى فى غرفـة مـن الصفيـح، ولا أجـد قـوت يومـى إلا بشـق الأنفـس، فأنـا أعيـش فى ألم دائـم، إمـا أن أتـالم مـن مشـقة العمـل، وإمـا أن أتـالم مـن الجـوع.

- تتزوجيننى؟!

صعقـت كريمـة مـن طلبـه المفاجـئ، ولكنهـا شـعرت بسـعادة أخفتهـا عنـه وعـن نفسـها.

- كيـف لى أن أتزوجـك، وأنـا مسـلمة وفقـيرة، وليـس لى أهـل، فأنـا فتـاة شـوارع شريفـة، نعـم شريفة، أعـرف أنـك سـتتعجب، ولكن هـذه هـى الحقيقـة، فأنـا مازلـت عـذراء، وأدافـع طـول الوقـت عـن شرفى، ويمكننـى أن أقتـل أى شـخص يحـاول سـلبه منـى .

- تتزوجيننى يا أديفا؟!

- ويصير لى بيت؟

- نعم، وأسرة، وترتاحين للأبد من العمل الشاق.

- أوافـق طبعًـا، فأنـت رجـل طيـب وابتسـمت قائلـة: وجميـل أيضـا، ولكـن كيـف؟

- تذهبين معى إلى الدير لتصيرى يهودية ونتزوج.

- ويكون لى بيت؟!

- نعم.
- وزوج؟
- وعائلة وأبناء، وينتهى زمن الشقاء.
- هل تحبنى حقًا يا إبراهيم؟
- نعم ياأديفا.
- هل ستعايرنى يوما بأصلى وفقرى؟
- أبدًا، أبدًا.
- أنا موافقة يا إبراهيم، أنا زوجتك ياحبيبى، وخادمتك ياسيدى حتى آخر لحظة فى عمرى .

دخل إبراهيم وكريمة إلى الشقة قائلًا.

- هذه شقتك، هذا بيتك الذى سيشهد أجمل سنوات العمر .

وأخذ يقبلها، ويعبث بيده فى سائر جسدها، فاستسلمت له وقالت :

- هل سنعقد القران الليلة؟
- بل إننا أصبحنا بالفعل زوجين من الآن.

ضمها ضمة سال الدم بعدها من بين فخذيها، فصرخت وأفاقت، وعرفت أنها وقعت فى شباكه.

بـدأ إبراهيـم رحلـة الهـروب والتنصـل مـن وعـوده، فظـل فى بيتـه بالإسـكندرية ولم يـأت للقاهـرة تـاركًا الورشـة حتـى تيـأس كريمـة مـن مطاردتـه، وبعـد مـرور شـهر عـاد فوجدهـا جالسـة أمـام بـاب الورشـة تبكـى فاقـترب منهـا قائـلًا :

- خـذى هـذا المبلـغ، وأعطاهـا مبلغـا كبـيرا مـن المـال، فـلا أمـل مـن زواجنـا ياكريمـة.
- لماذا لم تنادينى بأديفا كما كنت تنادينى؟ أكرهتنى يا إبراهيم؟
- أبـدًا يـا أديفـا ولكنـى سـألت الحاخـام فى الديـر فقـال لى إننـى لا يجـوز لى أن أتـزوج مسـلمة.

فبكت قائلة:

- أنـت تتهـرب منـى يـا إبراهيـم بعدمـا سـلبتنى الشـئ الوحيـد الـذى كنـت أملكـه فى هـذه الحيـاة.
- أنـا لا أخدعـك، عليـك أن تسـألى الشـيخ فى المسـجد، سـيقول لـك مثلـما قـال لى الكاهـن فى الديـر.
- أنـا لم يكـن لى أب أو أم، وجـدت نفسـى فى الشـارع فعشـت فيـه، وكان كل همـى أن أحافـظ عـلى شرفى الـذى سرقتـه، فلـن أتـركك تفلـت بفعلتـك.

تركته كريمة وهى تتوعده بأن انتقامها منه سيكون كبيرًا..

بعـد أن أنهـى عملـه مبكـرًا أخـذ إبراهيـم يهيـئ نفسـه؛ فالسـاعة

السابعة من مساء الخميس وهو قد اعتاد أن يسهر فى فرح جديد ولم ينته من قوله لمساعده:

– عليك أن تغلق الأبواب جيدًا.

حتى سمع صوتًا يأتى من خلفه.

– هل أنت إبراهيم مزراحى؟

– نعم أنا إبراهيم ياشاويش.

– تعال معى فورا، فرئيس المباحث يطلبك.

– هل يمكننى أن آت غدًا، ففرح ابن عمى الآن وكنت أتأهب للرحيل.

وهو يعطيه مبلغًا كرشوة، أخذها الشاويش ثم قال :

– لايمكن، عليك أن تأتى باختيارك أفضل من أن تأتى مرغمًا.

– لا عليك ياشاويش، سأذهب معك، ولكن قول لى بالله عليك ماذا حدث؟!

– لا أعرف.

ومشى معه إبراهيم، ويدور فى مخيلته أن مستورد الأخشاب قد اشتكاه بإيصال الأمانة الذى مر عليه تسعة أيام، فقال محدثا نفسه :

– ماذا حدث للناس، لم أتأخر فى سداد المبلغ إلا تسعة أيام،

عمومًا المبلغ فى جيبى جاهز، سأقذفه فى وجهه أمام المأمور وألحق بالشباب فى الفرح.

دخل الشاويش إلى المأمور قائلًا :

- إبراهيم ياباشا.

دخل إبراهيم إلى غرفة المأمور فوجد كريمة جالسة أمامه بفستان جديد، حذاء جديد، وشعرها منسدل على ظهرها، وتبدو كسيدة مجتمع، فتوجه إلى المأمور قائلًا :

- أأمرنى يافندم.

- هذه السيدة تقول أنك قد اعتديت عليها، ولابد أن تتزوجها.

- لن أستطيع أن أتزوجها ياسيادة المأمور، فهى مسلمة وأنا يهودى، وهذا لايجوز فى اليهودية ولا فى الإسلام، فالرجل المسلم يتزوج يهودية أما المرأة المسلمة لاتتزوج إلا مسلمًا، فأنا عرفت هذا من أصدقائى، كل أصدقائى مسلمون، وأعرف هذا جيدًا، وكريمة تعرف ذلك أيضا.

- فقالت مقاطعة :

- اسمى أديفا يا إبراهيم، وحامل..

وبكت متوسلة إليه.

- لاتتركنى أنا وابنى للضياع، فمن قال لك إنى مسلمة، فأنا ليس لى أب ولا أم ولا عائلة تقول لى إنى أنتمى إليها وإلى دينها

فأنا نشأت فى بيئة وجدت كل ما فيها مسلمين فقلت أنا مسلمة، ولكنى لا أعرف الإسلام ولا المسيحية ولا اليهودية.

فتدخل المامور قائلًا :

- ماذا تقولين؟!

- أقول الحقيقة ياسيادة المأمور، هذا الرجل هو كل عائلتى وهو دينى وحياتى كلها.

فتأثر إبراهيم والمأمور الذى سألها :

- ماهو المكتوب لديك فى خانة الديانة فى بطاقتك الشخصية أو شهادة الميلاد؟

- أنا لاأملك أية أوراق ياسيادة المأمور، وقد اخترت أن يكون اسمى أديفا كما سمانى إبراهيم حبيبى وزوجى وأبو ابنى.

وبكت قائلة :

- أرجوك ياسيادة المأمور إجبره على إصلاح غلطته، لابد أن يتزوجنى وإلا سانتحر فأموت أنا وابنه الذى يتحرك فى أحشائى.

فنظر له المأمور قائلًا :

- ماذا ستفعل يا إبراهيم؟

نظر إبراهيم إلى كريمة وقال :

- إذا كانت حاملاً فهو منى، وأنا اعترف أنها كانت بكرًا وسأتزوجها فورًا.

فنظر إليها المأمور قائلًا:

هل أنت فعلا حامل يا أديفا؟

فضحكت مستبشرة وقالت :

- أقسم بالله العظيم إنى حامل من إبراهيم.

فنظر المأمور لها بدهشة، وإبراهيم يقول :

- أنت تحلفين كما يحلف المسلمون، فأنت مازلت مسلمة ياكريمة.

فقاطعته مستنكرة.

- أبدًا، أبدًا والقرآن الكريم أنا يهودية واسمى أديفا.

فضحك إبراهيم والمأمور الذى مال عليه قائلًا :

- هذه فتاة تشبة القمر، حلال عليك دون مهر أو فرح، مبارك يا إبراهيم.
- أشكرك ياسيادة المأمور.

اصطحبها إبراهيم إلى بيته فكانت فى منتهى السعادة وأراد أن يحتفل بها فأبت قائلة :

- لنذهب إلى المأذون أولا.

- تقصدين الحاخام ياكريمة.

- أديفا، قلت لك مائة مرة اسمى أديفا يا إبراهيم.

ذهبا معًا إلى الدير، وتزوجا، فانتشر الخبر الذى أثار حفيظة جيرانها من المسلمين، فتجمعوا وأحاطوا بمنزله معتصمين عازمين على عدم المغادرة إلا بكريمة التى اعتدى عليها اليهودى فسلبها شرفها ثم دينها، لم تستطع الشرطة أن تحمى إبراهيم فهرب بأديفا إلى الإسكندرية وأقام مع عائلته التى تتأهب لمغادرة مصر، فالوقت حان لجمع الشمل، والمهم ألا يصل إليه جيران كريمة المصممون على قتله والتمثيل بجثته، وعندما هاجرت الأسرة هاجر معها إلى إسرائيل.

شاؤول

عـاد موشـيه إلى بيتـه تـاركًا شـاؤول وجاكـوب فى البـار، فالسـاعة قـد تخطـت الثالثـة صباحًـا ولكنـه عـاد بوجـه وعقـل آخـر، يفكـر كيـف يجمـع المبلـغ الـذى سيشـترك بـه فى العمليـة، فقـد عقـد العـزم عـلى المشـاركة؛ فالمخاطـرة بسـيطة ولـن يتحملهـا، والعائـد كبـير، وجاكـوب لايدخـل فى مـشروع إلا وكان رابحًـا.

– شالوم يا إستر.

– شالوم ياموشيه.

نظرت إليه نظرتها الخاصة التى تمزج بين الحسرة والسخرية،

– يبدو أن جاكوب قد استولى على ماتبقى من الإيراد.

– أمازلـتِ تعتقديـن أننـى ألعـب القـمار، إننـا نلعـب بليـاردو أنـا وجاكـوب يـا إسـتر، بليـاردو فقـط.

– نعـم طبعًـا، فهـى صالـة قـمار مقنعـة، والوحيـد الرابـح فيهـا هـو جاكـوب اللعـين.

- أنت سيئة الظن بالناس ياإستر، جاكوب صديقى، وهو غنى جدًا، لا ينظر لبضع شيكلات مع فقير مثلى.
- ستظل كما أنت دائما يا موشيه، ساذجا وأبله.

وتركته واقفًا فى صالة المنزل، ودخلت لتنام.

لم يستطع أن يفتح بابا للنوم، فكل الأبواب مغلقة، فقط أبواب الحيرة مفتوحة على مصراعيها، من أين يأتى بالمال ليتخلص من الفقر الملازم له طوال حياته؟!

الساعة العاشرة صباحًا، كل الأسرة حول مائدة الإفطار؛ فاليوم السبت إجازة وإستر التى تحب متابعة التليفزيون أثناء تناول الطعام تطلب من أديفا أن تضغط على زر التشغيل لتتابع نشرة العاشرة..

«السيدات والسادة إليكم نشرة العاشرة، يقدمها لكم: إيهود يعارى من القناة الثانية».

«إسحق رابين يقرر وقف عمليات توسيع المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية لئلاّ تؤدي إلى عرقلة مفاوضات السلام مع الفلسطينيين أو إفشالها بالكامل حسبما هدد الجانب الفلسطيني في حال استمرار الاستيطان الإسرائيلى».

«عملية تفجير انتحارية نفّذها إسلاميون متشددون في بيت لد بالقرب من تل أبيب تؤدي إلى مقتل ١٩ إسرائيلياً معظمهم من الجنود وجرح أكثر من ٦٠ آخرين».

- متى يكرمنا الرب ونهاجر من هذه البلاد اللعينة ونعيش فى أوروبا بعيدًا عن هؤلاء الإرهابيين:
- قالها موشيه ونهرته إستر.
- أرجوك اصمت قليلاً، أريد أن أتابع النشرة.

«تصاعد حدة التوتر بين السلطة الفلسطينية وحركة «حماس» إثر انفجار في غزة أدى إلى مقتل أربعة من أعضاء الحركة التي اتهمت السلطة الفلسطينية بـ «التعاون مع الاستخبارات الإسرائيلية لتنفيذ هذا الاغتيال». لكن المصادر الفلسطينية نفت ذلك بشدة، مؤكدة أن الانفجار نتج عن خطأ أدى إلى تفجير عبوة كان الأربعة يعملون على تحضيرها. وتحدثت معلومات إسرائيلية عن إمكانية أن يكون بين قتلى الحادث يحيى عياش المعروف بـ «المهندس» والذي يعتبره الإسرائيليون مسئولاً عن معظم أعمال التفجير».

«تصعيد عسكري في جنوب لبنان بين القوات الإسرائيلية والمقاومة الإسلامية يؤدي إلى مقتل ثلاثة جنود إسرائيليين، والولايات المتحدة تطلب من سوريا المساعدة على وضع حد له».

«الاجتماع المنتظر بين رئيسي الأركان السوري العماد حكمت الشهابي والإسرائيلي الجنرال أمنون شاحاك ينعقد في واشنطن، لكنه ينتهي من دون أية نتائج إيجابية».

«رئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال امنون شاحاك يهدد «حزب الله» وسكان جنوب لبنان بأنهم «سيدفعون ثمناً غالياً»

من جراء عمليات القصف على شمال إسرائيل، وذلك في أعقاب عمليتين نفذتهما عناصر إرهابية إسلامية في الجنوب وأدتا إلى مقتل جنديين إسرائيليين وجرح خمسة آخرين.

– كيف يعيش الإنسان فقيرًا فى ظل هذه الحياة المضطربة والخوف يحيط به والخطر يلازمه أينما راح؟!

قالها موشيه.

– هذه بلادنا ولن نتركها ياموشيه.

قالتها أديفا.

– دعونا نستمع إلى باقى النشرة يا أمى.

– حاضر يا إستر.

«اسحق رابين وياسر عرفات يوقعان في واشنطن، بحضور كل من الرئيس بيل كلينتون والرئيس حسني مبارك والملك حسين، الاتفاق الخاص بتوسيع الحكم الذاتي الفلسطيني وانسحاب القوات الإسرائيلية من المدن والبلدات والقرى الفلسطينية في الضفة الغربية تمهيداً لاجراء الانتخابات في مناطق السلطة الفلسطينية».

«اغتيال رئيس الحكومة الإسرائيلية اسحق رابين على يد متطرف يهودي. ومأتمه يتحول إلى تظاهرة سياسية حاشدة بمشاركة الكثير من قادة العالم، وبحضور عربي ضم الملك

حسين والرئيس حسني مبارك وممثلين من كل من فلسطين والمغرب وموريتانيا وقطر وعمأن».

قام موشيه متوجها نحو التليفزيون فحول القناة ليستمع إلى أغنية بالعبرى، قائلًا:

– لقد كرهنا هذه الحياة، حروب وقتل وإرهاب حتى على الإفطار يا إستر.

وما إن عاد إلى مكانه إلا وانتهت الأغنية، وبدأت نشرت الأخبار.

«ياسر عرفات يزور تل أبيب للمرة الأولى ويقدم التعازي إلى ليا رابين».

«بدء تنفيذ بنود اتفاق واشنطن أوسلو – ٢ والقوات الإسرائيلية تنسحب من جنين أولى مدن الضفة الغربية».

«انفجار يدمر مبنى السفارة المصرية في إسلام آباد موقعاً خمسة عشر قتيلاً و٦٠ جريحاً».

فقامت أديفا وتقدمت تجاه الشاشة تتابع باهتمام.

– ألا تنسين يا أمى أنك مصرية؟

– لن أنسى أبدًا يا إستر، فإن الذى كان ينسينى وطنى ودينى، وأحببته، تركنى وحدى ومات.

قالتها أديفا بحزن عميق وألم.

- هل كنت تحبينه حقًا؟

- كان عشقا لا يوصف، فهو الرجل الوحيد فى حياتى، لم أر غيره ولم أحلم بأحد، لا قبله ولابعده.

مازال التليفزيون يذيع نشرة الأخبار وإستر تتعجب من حب حماتها لحميها الراحل الذى هو، من وجهة نظرها، حيوان وتحمد الله أنه اندحر.

«محكمة عسكرية مصرية تصدر أحكامًا بالسجن على عدد كبير من قيادات تنظيم «الإخوان المسلمين».

«انتخابات نيابية على دورتين تؤدي إلى فوز ساحق لمرشحي الحزب الوطني الديموقراطي الحاكم والمستقلين المؤيدين له».

«رئيس الحكومة الإسرائيلية شمعون بيريز يجتمع بالرئيس كلينتون في واشنطن ويوجه نداء إلى الرئيس حافظ الأسد لتنشيط عملية السلام.

«الرئيس صدام حسين يجري استفتاء على بقائه في الحكم ينال فيه نسبة ٩٩,٨ في المائة.

- هذا البيت يعشق الاكتئاب.

قالها موشيه تاركًا البيت وقد أغلق الباب خلفه بقوة.

خرج موشيه من المنزل تائها حائرا لايعرف إلى أين يذهب، وصل ورشته وفتح بمفتاحه فاليوم السبت والورشة مغلقة،

وحتى لوكانت مفتوحة فالوضع لا يسر.

- آه لو كان معى أموال لأعطيتها لجاكوب وصديقه شاؤول، فالفائدة كبيرة والعائد سريع، متى يارب أتخلص من هذا الفقر اللعين، علىّ أن أتصل بجاكوب، فهو وحده الذى يمكنه أن يجد لى حلاً.
- ألوه، صباح الخير ياعاميت.
- أهلا موشيه.
- ألا زال جاكوب نائمًا؟!
- جاكوب لاينام ياموشيه، فمع أنه عاد للمنزل فى الثالثة صباحًا إلا أنه فى الثامنة صباحًا كان جالسًا على مائدة الإفطار.

أين هو، أريد أن أتحدث إليه؟

جاكوب، ياجاكوب، هذا موشيه يريدك على التليفون..

قالتها عاميت وهى تنادى على زوجها فأتى وأمسك بالسماعة وقال :

- صباح الخير ياحبيبى.
- أريد أن ألقاك الآن ضرورى ياجاكوب.
- تحت أمرك ياحبيبى بعد ساعة فى البار، سانتظرك، شالوم.
- شالوم.

ما إن وضع سماعة التليفون حتى باغتته عاميت:

- ماذا يريد منك فى هذه الساعة المبكرة، أعتقد أنه يريد أن يطلب منك سلفة.

- منى أنا؟!

- قالها جاكوب بتعجب ودهشة فهو لايقرض أحدا إلا بفوائد باهظة، لايستطيع من هو مثل موشيه تحملها، واعتبرها تهذى.

أخذ جاكوب سيارته متجها إلى البار وما إن وصل حتى وجد موشيه فى انتظاره.

- هل جئت طائرا يارجل، كيف وصلت قبلى ياموشيه؟!

- إنى احتاج مشورتك فأنت صديقى الوحيد.

قالها بتأثر.

- مابك ياصديقى؟ قل ماعندك، وسأعمل على حل مشكلتك فورا، هل تشرب معى النسكافيه؟

- بل فنجانا من القهوة من البن الخاص بك.

- حاضر.

- وطلب من الجرسون فنجانين من القهوة المظبوط.

- قل لى يا موشيه ماذا دهاك، مابك ياصديقى؟

- أنا أتألم من العيش فى ظل هذه الظروف الصعبة ياجاكوب.

- أية ظروف ياموشيه، لديك مصنع يقدر بخمسمائة ألف دولار، وبيت بمائة ألف دولار وتقول ظروف صعبة، أنت من أغنياء حيفا يارجل عيب عليك.

- نعم أنا ورثت هذا عن أبى، لكن دون عائد، لا أملك أية سيولة، فالبيت نسكن فيه والمصنع عائده لايكفى أجور العمال والضرائب.

- فعلا هذه معضلة ولكن يمكنك حلها.

- كيف؟

- أجر المصنع لمن يجيد إدارته بمبلغ شهرى ثابت يخرجك من أزمتك.

- عرضت هذا الحل ولم يلق قبولا من أديفا أمى، التى تعتقد أن أى مؤجر سيستولى على المصنع، ولن نستطيع أن نخرجه أبدًا ويضيع علينا.

- وضع جاكوب يده على جبينه قائلًا:

- عندها كل الحق، فلاشئ مضمون.

- أبحث عن حل ياجاكوب؟!

- لماذا تفكر فى حل الآن؟! فأنت تعيش فى هذه الظروف لسنوات طويلة؟

- أريد أن أشترك معكم فى مشروع شاؤول.

- هـذا المـشروع ينقـذك فعـلا ياموشـيه، ولكنـك لاتملـك مـالا تسـاهم بـه فى العمليـة.

- ولكنى أملك ضمانات، البيت والورشة.

- أتريد قرضًا؟

- نعـم، ولكـن ليـس مـن البنـك لأن أمـى لـن توافـق، أريـد أن أقـترض منـك مبلغًـا أعطيـه لشـاؤول بضـمان الورشـة والبيـت.

- منى أنا؟!

- قالها متعجبا، ثم أكمل:

- أنـا ياصديقـى ليـس معـى سـيولة أبـدًا، السـيولة تكـون عـادة مـع الأغنيـاء فـكل دخـلى فى مشروعـات، وإذا توافـر معـى شـيكل واحـد سـأعطيه أنـا لشـاؤول وأحصـل لنفسـى عـلى الفائـدة.

أصيب موشيه بخيبة الأمل لكن جاكوب باغته قائلًا :

- هل تستطيع أن تحضر لى عقود ملكية المصنع والبيت؟

- نعم هى معى.

- سـأقوم بهـذا العمـل لأجلـك ياصديقـى، فأنـا لم أقـم بـه مـن قبـل، ولكنـك عزيـز عـلىّ ياموشـيه.

- أعرف أعرف.

- إن عاميت زوجتى لها عم يعمل كبنك متنقل، سنطلب منه المبلغ ونرهن لدية البيت والمصنع مقابل فائدة ٢٥ ٪.
- كثير ياجاكوب، فالبنك يحصل على ١٠ ٪ فقط.
- نعم البنك يحصل على نسبة أقل، لكن له اجراءات ومعاينات ونحن نريد أن نقوم بكل شئ سرًا دون أن تعرف أديفا أو إستر أى شئ.
- معك حق.
- ومتى نلقى هذا الرجل؟
- يونى، اسمه يونى ياموشيه، اعتبر كل شئ تم، وما عليك إلا أن تحضر العقود.
- انطلق موشيه إلى المنزل وفتح بمفتاحه، ودخل قاصدًا غرفة المكتب على غير عادته.
- ماذا تفعل عندك ياموشيه؟
- أنا.. أبحث عن إيصالات استهلاك الكهرباء للورشة فقد طالبونا بها مرة أخرى، وأنا متأكد أنى قد دفعتها.
- ابحث بهدوء وستجدها، لاشئ يضيع هنا فى منزلنا، هل أحضر لك الغداء؟
- لا سآخذ الإيصالات وأعود إلى الورشة.

أخـذ موشـيه العقـود وانطلـق مسرعًـا إلى جاكـوب وأمـه تتابـع مـا يفعلـه بدهشـة، فاليـوم السـبت إجـازة ولا يأتهـم محصـل الكهربـاء أبـدًا يـوم الإجـازة، وموشـيه ليـس طبيعيًـا، جـاء فجـأة وخـرج فجـأة، ولايتكلـم، ولم يطلـب الطعـام عـلى غـير عادتـه.

اسـتقبله جاكـوب بابتسـامته العريضـة قائـلًا وهـو يتفصحـص العقـود:

- أنها كلها باسمك ياموشيه.
- نعـم، أبـى كتـب ووثـق كل شـئ باسـمى وأوصانـى ألا أبيـع وألا أتـرك إسرائيـل أبـدًا مهـما حاولـت أمـى اقناعـى، ولكـن ماحـدث هـو عكـس ماتوقـع أبـى، أنـا الـذى أريـد أن أبيـع وأتـرك إسرائيل وأمـى التـى كانـت تريـد أن تعـود إلى مـصر - فهـى مصريـة وكانـت مسـلمة قبـل أن تتـزوج أبـى صرفـت النظـر نهائيـا عـن هـذه الفكـرة.

يتابـع جاكـوب مايقولـه موشـيه كأنـه يخطـط لعمـل كبـير ويجمـع معلومـات يبنـى عليهـا خطتـه العسـكرية.

- ألهذا السبب كتب أبوك كل شئ باسمك؟!
- نعم لوكان يعرف لكتب البيت والمصنع باسم أمى.
- وما الذى يمنعك من البيع ياموشيه؟

- إن لأمى النصف، وهذه وصية أبى، وأنا لا أستطيع أن أخدع أمى أو أسلبها مالها.

- طبعًا، طبعًا.

قالها جاكوب بلسانه، ولكن قلبه وعينه يلمعان بالشهوة النارية لالتهام مال موشيه وأمه فقد حان الوقت ووقع الصيد.

- اسمع ياصديقى، سنعطى العقود والتنازل عن الملكية ليونى ونحصل منه مقابل ذلك على مائة ألف دولار لمدة ثلاثة شهور نرجع بعدها المبلغ مائة وخمسة وعشرين ألف دولار.

- وإذا لم نتمكن من دفع المبلغ فى موعده؟

قالها موشيه بخوف.

- لا تخف، ستحصل على ربع مليون دولار، فالنسبة التى يعطيها شاؤول كبيرة، اطمئن، وعلى كل حال يونى من العائلة وليس غريبًا.

- أنا لا أعرف غيرك ياجاكوب، فأنت صديقى الوحيد، ولا أريد أن أقابل لا شاؤول ولا يونى، فمعك الأوراق وأنت مكانى، ولكن أرجوك أن يسير كل شئ بسلام وقبل مضى مدة القرض.

- طبعًا، طبعًا.

قالها جاكوب.

- ولى طلب آخر.

- تفضل.

- خمسون ألف دولار لى كى أعيش وانطلق وأتخلص من الفقر الذى لازمنى طوال الفترة السابقة.

- ماذا تقصد؟

قالها جاكوب.

- اقصد أن يدفع يونى مائة وخمسين ألف دولار، يأخذ شاؤول منها مائة ليشغلها وموشيه خمسين كى يعيش هو وعائلته.

- سأفعل كل مافى وسعى من أجل إرضائك ياحبيبى، فأنت صديقى الوحيد ياموشيه.

- متى آتى لآخذ المبلغ؟

- غدا ياصاحبى.

إستر

رغم حقدها وكرهها لعائلة مزراحى فإنها قبلت أن تتزوج موشيه وهى التى كانت تشبهه لرفيقاتها بالصرصار الذى لو كان آخر رجل فى العالم لن تتزوجه، ولكن أباها، الذى كان يعمل محاسبًا فى مصنع إبراهيم مزراحى، كان من فقراء العراق ولم يعطف عليه فى إسرائيل غير إبراهيم مزراحى الذى بدأ إعجابه بإستر هو لنفسه فكان يتحرش بها عندما كانت تتردد على والدها فى الورشة، وبعدما قطعت الاتصال طلبها من والدها كى تساعد أديفا فى تنظيف المنزل مما أغضبه، فاتهمه إبراهيم مزراحى بسوء الفهم، فإنه كان يريدها زوجة لابنه موشيه، وليست خادمة.

شعرها الطويل المنقسم إلى ضفيرتين كان يدهش أديفا، فترد عليها بأنها قصته عدة مرات وإذا كانت تركته لأصبح أطول مما هو الآن مرتين، عيناها الواسعتان، ورموشها الطويلة، وقوامها الأنثوى الشهى، وبشرتها البيضاء التى تجعل الحمرة تزيد توهجا، جعل موشيه لا يتردد فى قبولها زوجة يطفئ فيها جذوته الجنسية.

إستر هى الوحيدة فى هذا البيت التى فرحت بوفاة إبراهيم مع إنه كان يعاملها أفضل معاملة أمام زوجها وحماتها، ويأتى لها

بالهدايا ويقبلها أمامهم جميعا بدعوى أنها ابنته ويحبها كما يحب موشيه لكنه كان يضمر فى نفسه الخبث، فإذا كانا وحدهما كان يتحرش بها ولكنها أوقفته عند حده دون أن تفضحه وتفضح نفسها، فأنقذها منه الله بموته بعد سنة واحدة من زواجها بموشيه.

هل كنا أغنياء يا أمى؟!

قالتها إستر لأديفا.

- نعم، نحن من أغنياء الإسكندرية، ونحن هنا أغنياء أيضا فلدينا منزل كبير ومصنع، ولكن إدارة موشيه الفاشلة جعلتنا نعيش فى هذا المستوى وكأننا فقراء.
- وفى مصر، احكي لى عن مصر، هى كما نشاهدها فى الأفلام، الناس يغنون طول الوقت، ويرقصون طول الوقت.
- عائلة مزراحى كانت عائلة كبيرة فى الإسكندرية، وكانت عائلتى تعمل معها فى التجارة، فرأيت إبراهيم وأحببته ورفضت كل خطابى ولم أقبل سواه رغم رفض عائلتى لكونه يهوديا وأنا مسلمة ولكنى تركت فيلا بابا، ورضيت أن أعيش فى هذا المستوى مع من أحب.
- هل يستحق عمى إبراهيم أن تغيرى دينك من أجله؟
- لقد كان رجلا عظيما، وأنا أحبه؛ فهو فارس أحلامى.

تتابع إستر ماتقوله حماتها، وتحدث نفسها :

«هـذا الخنزيـر النـدل الـذى يخـون زوجتـه وابنـه ويطمـع فى زوجـة ابنـه لايسـتحق إلا أن يـضرب بالنعـال».

– وماذا فعلتم بأملاككم، هل تركتموها فى الإسكندرية؟

– ياإسـتر، عندمـا يهـدد الإنسـان فى حياتـه كل شـئ يهـون، فـما بالـك لـو عرفـتِ كيـف تركـت العائـلات التـى هـى أغنـى منـا بمراحـل كل شـئ.

– أية عائلات؟

– عائلـة قطـاوى وكان كبيرهـم يعقـوب بـك قطـاوي، كان رئيسًـا للطائفـة اليهوديـة في مـصر حتـى وفاتـه، عمـل مديـرًا لـ«الضربخانـة» التـي كانـت تتـولى أعـمال المخابـز والجـمارك وحلقـات الأسـماك، وكان يوفـر للحكومـة مايلزمهـا مـن رواتـب للعاملـين.

– هل كان له أبناء؟

– نعـم كان لـه أربعـة أبنـاء، تولـوا إنشـاء وإدارة محـلات «منشـه وشركاه» مـع أبنـاء عائلـة «منشـه»، وافتتحـوا فرعًـا لهـم بلنـدن، ثـم انفصلـوا عـن «منشـه»، وافتتحـوا فروعًـا إضافيـة بباريـس والإسـكندرية.

أسسـت العائلـة معامـل لتكريـر السـكر وتـدرج وصولهـم للمناصـب بالحكومـة المصريـة، فمنهـم مـن أدار شركـة الميـاه بطنطـا، وآخـر أدار الشركـة العقاريـة المصرية، وسـكة حديد حلـوان، وافتتحوا

بنكًا وساهموا في بنكين، وأداروا البنك الزراعي واحتكروا صناعة الملح والصودا، وامتدت أعمالهم للخير فأسسوا دارا للأيتام، وكانوا من أكبر عائلات اليهود بمصر وأكثرهم سخاءً في رعاية الطائفة اليهودية.

- وكيف عرفت كل هذا يا أديفا؟

- لقد كنت أعيش مع جماتى بالإسكندرية لانخرج من البيت أبدا، وكانت سلوتى الوحيدة أن أجعلها تحكى لى كل شئ وتعلمنى القراءة والكتابة.

- هل كنت لاتجيدين القراءة والكتابة؟

- كنت أجيد العربية، ولكنها علمتنى العبرية والإيطالية كتابة وقراءة.

- وماذا حكت لك عن العائلات الأخرى؟

- حكت لى عن عائلة موصيرى كثيرا وكانت تحكى بفخر ورومانسية، فهى عائلتها لأبيها، أما عائلة والدتها كانت من عائلة منشه، سأحكى لك أولا عن عائلة موصيرى هى عائلة ذات أصول إيطالية، كبيرهم نسيم بك موصيري، هاجر لمصر سنة ١٧٤٩، واستوطنها وناسب عائلة «قطاوي» وأنجب ثمانية أولاد وثلاث بنات، وكانت تعد تلك العائلة من أكبر عائلات أعيان اليهود في مصر وأكثرهم ثراءً، وساهموا بمساهمات كبيرة في إعانة الطائفة اليهودية المصرية

ودروا الأمـوال لرعايـة أبنائهـا، وتـدرج عـدة أبنـاء للعائلـة في مناصـب إدارة الطائفـة اليهوديـة أو كنـواب لرئيسـها.

وعُرفـت العائلـة بتأسـيس أنشـطة تجاريـة كبـيرة في مـصر، وإدارة الأمـوال، بدايـة مـن إنشـاء بنـك «موصـيري»، وبنـاء وإدارة عـدة دور للسـينما وتنميـة صناعتهـا وإنتاجهـا في مـصر بإنشـاء شركـة «جـوزي فيلـم»، وكذلـك في مجـال الفنـادق والسـياحة فأقامـوا «مينـا هـاوس» و«سانسـتيفانو» بالإسـكندرية، كـما أسسـوا جريـدة صحفيـة عرفـت باسـم «إسرائيـل»، وكانـت تصـدر مـن القاهـرة بالعبريـة والعربيـة والفرنسـية.

– هذا كله قالته لك حماتك يا أديفا؟

– نعم.

– فلمَ لم تحك لى شيئا وأنتِ حماتى؟

– أنتِ لم تطلبى منى يا إستر.

– ها أنا أطلب.

– عائلة منشه التى تنتمى إليها حماتى أم حماك إبراهيم مزراحى؟

كبيرهـم البارون يعقوب ده منشـه، ولد عام ١٨١٠ في الإسـكندرية، كان لـه أربعـة أبنـاء وثـلاث بنـات، وعمـل في عـدة مراكـز قويـة أهمها وكيـل حسـن باشـا المنسـترلي، الـذي شـغل منصـب متعهـد الأمـوال الأميريـة، والتـي كانـت مختصـة بجمـع الضرائـب مـن الفلاحـين

للدولـة المصريـة، وكان لـه بـاع في الأعـمال الخيريـة وبنـى معبـدا ودار أيتـام بالإسـكندرية وتـولى أحـد أحفـاده إكـمال بنـاء دار للمسـنين كان بـدأ بناؤهـا قبـل وفاتـه.

وكان أبنـاؤه وأحفـاده مـن أكـبر العاملـين في البنـوك، كـما أن العائلة كلهـا كانـت لديهـا مهـارة في التعامـل مـع الأمـوال، وأنشـأوا محـالا تجاريـة تحـت اسـم «منشـه وشركاه» بالشراكـة مـع عائلـة «قطـاوي» في القاهـرة والإسـكندرية، وأطلقـت الدولـة اسـم عائلـة «منشـه» عـلى شـارعين بمحـرم بـك بالإسـكندرية وبالمعـادي، المعـرف بـ«مصطفـى كامـل» حاليًـا.

- رائع يا أديفا هل لديك حكايات أخرى وعائلات أخرى؟
- نعم، ولكن بعد أن أشرب من يدك فنجان قهوة على الريحة.
- مـن عينـى ياحبيبتـى، فأنـت اليـوم رائعـة، وتحكـى لى حكايـات جميلـة.
- قامت إستر، وأحضرت القهوة وقدمتها لأديفا قائلة :
- ها هى القهوة اشربى يا أديفا ومتعينى.
- أخذت منها القهوة قائلة :
- شـكرا يـا إسـتر ، سـأحكى لـك عـن رولـو، فقـد كان كبيرهـم روبـين رولـو، جـاء إلى مـصر وتـزوج مرتـين وعـاش فيهـا، وأنجـب خمسـة أبنـاء سـاعدوه وبـدأوا معـه في تأسـيس محـلات

«رولـو وأولاده» في القاهـرة والإسـكندرية، وشـاركوا عائلـة «سـوارس» في محلاتهـم فيما بعـد، ووسّـعوا نشـاطهم التجـاري في المسـاهمة ببعـض البنـوك أهمهـا البنـك الأهـلي، والشركـة الزراعيـة الحكوميـة، والشركـة العقاريـة.

وبخـلاف الأنشـطة التجاريـة سـاهموا كمعظـم عائـلات أعيـان اليهـود في مـصر في الأنشـطة الخيريـة ومسـاعدة الطائفـة اليهوديـة وترميـم المعابـد وإنشـائها.

– وعائلة سوارس؟

– سـوارس مـن العائـلات اليهوديـة الكبـيرة التـى ارتبـط اسمهابتأسـيس أهـم البنـوك المصرية بالشراكـة مع عائـلات يهودية أخـرى، فأنشـأوا البنـك الأهـلي، والبنـك العقـاري، وتحكمـوا في أكثـر مـن مليـون فـدان مـن الأراضي الزراعيـة المصريـة نتيجـة ارتبـاط البنـوك بالقـروض الممنوحـة للمـلاك الزراعيـين.

أسسـوا سـنة ١٨٧٥ مؤسسـة «سـوارس»، التي كان لهـا دور كبير في المسـاهمة ببنـاء خـزان أسـوان وشركـة وادي كـوم أمبـو الزراعيـة، كـما سـاهموا في إنشـاء ومـد خطـوط السـكة الحديد وأنشـأوا شركـة لتصنيع ونقـل الـركاب، وسـمى المصريـون تلـك العربـات بالـ «سـوارس».

– وهل كانت عائلة مزراحى مثل هذه العائلات يا أديفا؟

– كانـت تربطهـا علاقـات نسـب وتجـارة ولكنهـا لم تكـن بنفـس المسـتوى؛ فهـذه العائـلات كانـت أغنـى وأشـهر مثـل عائلـة

عـدس، فهـى مـن أهـم العائـلات التـي عملـت في الاقتصـاد ومجـال الأنشـطة التجاريـة المرتبطـة ببيـع السـلع، فأقامـوا سلسـلة محـال تجاريـة بالشراكـة مـع رجـال أعـمال يهـود آخريـن، وكان لمحلاتهـم بـاع كبـير في مـصر في القـرن العشريـن، وكانـت أهمهـا «ريفـولي وبنزايـون وعمـر أفنـدي وهانـو».

– هل كنتِ تعرفين ذلك قبل زواجك من عمى إبراهيم؟

– لم أكـن أعـرف شـيئا فى الدنيـا قبـل إبراهيم فهـو معلمـى الأول، فى عـام واحـد فى الإسـكندرية وعـشر أعـوام فى حيفـا، تعرفـت فيهـا عـلى كل شـئ، فقـد كنـت حـين تزوجنـى عمـك إبراهيـم صغـيرة جـدا، لم أكـن أبلـغ السادسـة عـشرة مـن عمـرى.

– وماذا حكت لك حماتك أيضا؟

– حكـت لى عـن عائلـة سـموحة، وهـى مـن أكـبر عائـلات اليهـود في الإسـكندرية، عملـوا في إنشـاء مضـارب الأرز وتكريـر السـكر والغــزل والنســيج، وســميت منطقــة ســموحة بالإســكندرية باسـمها نسـبة لملكيتهـم لتلـك الرقعـة الكبـيرة مـن الأراضي قبـل ثـورة يوليـو ١٩٥٢.

ومازالـت أديفـا تحكـى لإسـتر عـن الحيـاة فى مـصر قبـل أن تهاجـر إلى إسرائيـل، وموشـيه يفتـح البـاب بمفتاحـه ويدخـل قائـلًا :

– شالوم يا أسرتى الجميلة.

فضحكت أديفا وإستر التى قالت :

- أخـيرًا ربحـت اليـوم فى البليـاردو ياموشـيه، لم أرك فى هـذه السـعادة منـذ أن تزوجتـك.

- اقترب منهما موشيه واحتضن أمه وزوجته قائلًا :

- أعـرف أنـى أتعبتكـم معـى كثـيرًا ولكـن زمـن الفقـر قـد ولّى، وسـأعوضكما عـن سـنين الشـقاء.

- مـاذا حـدث ياموشـيه؟! اسـتحلفك بالـرب أن تقـص علينـا يازوجـى الحبيـب.

قالتها إستر، فقالت أديفا :

كنـت أعـرف أنـك - فى يـوم مـن الأيـام - سـتكون ناجحًـا مثـل أبيـك يـا موشـيه.

باريس

مع أن موشيه لم يطلب خصمًا من جولدا إلا أنها، لأجل خاطر عاميت ابنة عمها، قد حجزت لموشيه وإستر وأديفا ثلاثة أفراد بسعر مخفض فى رحلة فرنسا التى تنظمها شركة بنيامين السياحية التى تعمل بها جولدا سكرتيرة تنفيذية ومشرفة على الأفواج.

لم تصدق إستر نفسها فهذه هى المرة الأولى التى ستقضى فيها عشرة أيام فى باريس وهى فى كامل أناقتها ورضاها عن نفسها وعن زوجها، فالملابس الجديدة التى أشتراها لها موشيه قد أبرزت أنوثتها فشعرت بجمالها بعد أن كشفت عن الجزء الأعلى من صدرها ليظهر العقد الذى قالت عنه عندما قدمه لها موشيه إنه رهيب، وقد أصبح أكثر روعة بعدما استند على صدر إستر العامر، الأبيض، الشهى.

جاءت سيارة الشركة فطلب موشيه من أديفا التى كانت تتصرف كالمسحور الذى لايريد أن يفيق من السحر الذى وقع تحت تأثيره لأنه سعيد سعادة لم يبلغها فى يوم من الأيام، فقد حقق موشيه ما وعدها به أبوه إبراهيم مزراحى من قبله ولكنه لم يف، بالطو إيطالى من الفرو، وفستان من باريس «سنيه»،

وشنطة وحذاء من جلد الثعبان فبدت كسيدة مجتمع، فقد عدل موشيه ميزان الأسرة أخيرًا، بعد أن كانت عائلة موشيه مصدر حيرة لجيرانها الذين احتاروا فى تصنيفها، أهم أغنياء أم فقراء أم متوسطى الدخل؟! فالناس عندما يرون المصنع والبيت يدرجون عائلة موشيه ضمن العائلات الغنية فى حيفا، ولكن عندما يقع نظرهم على مايأكلون ومايلبسون يعرفون جيدًا أنها عائلة من الطبقة المتوسطة، أما إذا قابل أحدهم موشيه وسمعه فى أسطوانته المسجلة التى يديرها كلما وجد شخصًا يأمل أن يقرضه، بما فيها من شكواه الدائمة من ضيق العيش وخسائر الورشة، يدرك وقتئذ أن هذه العائلة فقيرة وفى حالة يرثى لها.

إذن فموشيه قد حسم الجدل، وصحح الوضع؛ فسدد ديونه التى لم تتجاوز خمسمائة دولار، واشترى ملابس وهدايا لزوجته وأمه وملابس له وأعطى سيارته للتوكيل حتى تُجدد بالكامل خلال العشرة أيام التى سيقضيها مع أسرته فى باريس، كل هذا لم يتجاوز خمسة آلاف دولار ومازال مع موشيه الكثير فخمسون ألف دولار فى إسرائيل مبلغ كبير.

لم يتذكر موشيه فى سنواته السبع الماضية التى عاشها مع إستر أنها قالت له: «إنى أحبك ياموشيه « متطوعة، وبادئة، دون رد روتينى، ولكنها قالتها اليوم من قلبها وهو يفتح لها باب الليموزين الخاص بشركة السياحة، ركبت كأى ليدى وهى تنظر له بحب وشكر.

انطلقت سيارة الليموزين فى اتجاه المطار لتبدأ أولى رحلات السعادة لعائلة موشيه التى عرفت طريقها إليها من الآن فصاعدًا، ولكن أديفا تطلب من السائق أن يعود بسرعة للمنزل لأنها نسيت أن توصل التيار الكهربائى للثلاجة التى بها طبق فيه بعض البطاطس والجبن الأبيض وباقى دجاجة لم يكملها موشيه، فضحكت إستر و موشيه الذى قال لها:

– لقد أصبحنا أغنياء يا أمى وأنت كما أنت!!.

وكأن إستر وأديفا لايريدان أن يخرجا من هذا الحلم، فقد صدقا موشيه دون أن يبذل أحد منهما أدنى جهد فى التأكد من صحة كلامه، فعندما قال لهما إن السعادة دقت على الأبواب وأن ديزينر إيطالى تعاقد مع الورشة على تنفيذ موبيليا من تصميمه سيصدرها للعرب ويكتب عليها صنع فى إيطاليا، لم يسألا عن التفاصيل، لم يشغلهما إن كان صادقًا أم كاذبًا؛ فضيق العيش أهلكهما وحان الوقت كى يتنفسا ويعيشا مثل البشر، وقد فعل خيرًا موشيه عندما استعار قصة الصفقة التى تمت فعلا لورشة جلعاد الذى عقد فعلا هذه الصفقة مع ديزينر إيطالى منذ شهرين فاقتبس الواقعة ونسبها لنفسه لأن أمه وإستر لايثقان فى جاكوب، ولو عرفا عن مشروعهما شيئا لماتتا من الخوف.

★★★

كعشر دقائق، مرت العشرة أيام فى باريس، ككل الأوقات السعيدة تمضى فى لمح البصر، عادت إستر كأنها ولدت من

جديد، لم تعد إستر الكئيبة، بل أصبحت إستر السعيدة التى لا تفارق البسمة وجهها طوال الرحلة وتمنح موشيه القبلات كلما سنحت لها الفرصة، أما الجرعة الكبيرة فكانت تدخرها لليل حين تنفرد به فى غرفتيهما فى الفندق فى ليالى باريس الساحرة.

لم تشك أديفا أن موشيه يمكنه أن يبيع أو يرهن البيت أوالورشة ولم يخطر ببالها أصلا، فهى شريكته مع أن الأوراق خالية من أى معنى للشراكة، فكل شئ باسم موشيه إلا أنها وموشيه شخص واحد، فهو ابنها الوحيد ولن يغدر بها أبدًا لكنها لم تستطع تصديق النجاح المفاجئ الذى حققته الورشة، لعل فى الأمر سرا، ولكنها قررت ألا تشغل نفسها بهذا السر، فكل شئ يهون مادامت أسرتها سعيدة.

وما إن دخلت إستر البيت حتى نظرت فى كل زواياه وأركانه مقارنة بينه وبين الجنة التى عاشوا فيها عشرة أيام فصبرت نفسها قائلة :

«موشيه قد عرف طريق النجاح وسنعيش فى الجنة طوال الوقت».

قالتها وهى تبحث عنه قائلة :

– أين أنت ياحبيبى؟

– أنا هنا.

دخلت عليه الغرفة بوجه باسم ودلال طبيعى تلقائى قالت :

- حـان الوقـت أن أفشـى لـك بـسرى ياحبيـب عمـرى، ولكـن عدنـى ألا تغضـب منـى، سر كنـت أخفيـه عنـك.

- سر؟!

- لكن أرجوك أن يظل سرًا بينى وبينك.

قـام موشـيه مـن مكانـه ملتفتـا إليهـا، ثـم وضعهـا بـين يديـه التـى أمسـكتاها مـن كتفيهـا قائـلًا :

- أنتِ زوجتى فلا تخافى على سرك.

- هل تذكر عندما كنا فى أول الزواج.

- نعم طبعًا، هذه أيام لاتنسى.

- كان كل واحـد فينـا مجـبر عـلى الآخـر، لم أكـن أحبـك، ولم تكـن تحبنـى أتذكـر؟ هـذه هـى الحقيقـة التـى لايمكـن أن ننكرهـا.

- نعـم، تزوجنـا لتنفيـذ رغبـة والدينـا، أهـذا ماعنـدك، هـل تجديـن الوقـت مناسـبا لمثـل هـذا الـكلام، مـاذا تريديـن ياإسـتر؟

قالها بانفعال وغضب، فباغتته:

- أنا كذبت عليك ياحبيبى...

- كذبت علىّ؟!، كذبت علىّ فى ماذا؟

- أنـا يمكننـى أن أحمـل، ليـس لـدى أى مانـع، وأريـد أن يكـون لنـا أطفـال بعدمـا أصبحت أبًا كفئا تسـتطيع أن تتحمل مسـئولية أسرة.

كاد عقله يطير من الفرحة.

– هـذا خـبر سـعيد، ولكـن دعينـى أخـبر أديفـا بالتدريـج، فهـى مـن المسـتحيل أن تغفـر لـك هـذه الفعلـة، ولـن تقـدر موقفـك مثـلى.

– وكيف ستخبرها بالتدريج؟

وضـع يـده اليمنـى حـول رقبتهـا وأمـال رأسـها، وبـدأ يـشرح لهـا الخطـة.

– سـنقول لهـا أن طبيبًـا جـاء مـن الخـارج لتـل أبيـب يعطـى علاجًـا بسـيطًا دون الحاجـة إلى إجـراء عمليـات لمـن هـن فى حالتـك فيسـتطعن الحمـل.

– فكرة عظيمة.

وقام موشيه منتصبًا.

– الآن، دعينـى أشرب كأسًـا مـع صديقـى جاكـوب، فأنـا لم أره منـذ عـشرة أيـام.

– سـلم لى عليـه ياموشـيه، وقـدم لـه الدعـوة عـلى العشـاء وقتـما يناسـبه، هـذه فرصـة لنشـكر عاميـت التـى سـهلت لنـا الرحلـة، فلـولا جولـدا ابنـة عمهـا لمـا اختـاروا لنـا هـذه الغـرف الفاخـرة ولا اسـتقبلونا كـما يسـتقبل الأمـراء والملـوك فى باريـس.

تعجب موشيه عندما رأى بنفسه ما يعرفه جيدًا أن للمال سحرا يغير كل شئ؛ فجاكوب وعاميت اللذين كانا عدوين لإستر ومصدر إزعاجها، قد أصبحا صديقى إستر، وتطلب منه أن يقدم لهما دعوة على العشاء، فحدث نفسه:

يكذب دائما من يقول إن المال ليس كل شئ.

خرج من المنزل واستوقف تاكسيا طالبًا منه أن يوصله إلى بار جاكوب، دفع له موشيه أضعاف العداد فشكره السائق، وكأن موشيه قرر أن يسعد كل من يراه، فمن سعادته أن يرى الناس سعداء.

– مساء الخير جاكوب.

– مساء الخير ياموشيه.

قالها بحزن، ناظرًا فى دفتر أمامه على المكتب دون أن يلتفت له أو يقف لتحيته.

– مالك يارجل؟! أهذه مقابلة الصديق الذى لم ير صديقه عشرة أيام كاملة؟!

لم يلتفت أيضا، وكأنه لايريد أن يراه.

– هل قرأت صحف الأمس؟

– لا، بالأمس كنت فى باريس، ماذا فيها ياجاكوب؟!

يلتقط موشيه الصحيفة من أمام جاكوب ويقرأ المانشت الرئيسى ويحاول أن يتمالك أعصابه دون جدوى، فقام جاكوب وأجلسه على كرسى أمام المكتب قائلًا :

– كل شئ فداؤك ياصديقى، عوض الرب عليك، ولكنك فى موقف لاتحسد عليه.

– كيف حدث ذلك؟

– إخبارية جاءت من مجهول وشى بشاؤول فقُبض عليه، ولكن من حسن حظه أن مكان الشحن ليس هو نفس مكان الركاب، فأنكر شاؤول معرفته بأى شئ يخص المخدرات.

– ولكن مكتوب فى الجرنال أنه تم القبض على أكبر جالب للمخدرات فى إسرائيل، ضبط كمية من الحشيش بحوالى خمسمائة ألف دولار.

– لقد اتصلت بالمحامى، وقال لى إن موقفه الشخصى ليس سيئا لو تمسك بإنكار معرفته وملكيته للبضاعة.

– والحشيش؟

– تمت مصادرته طبعًا.

وضع موشيه يديه، بعدما ضفر أصابعهما، على رأسه ودمعت عيناه قائلًا:

– ماذا أفعل فى القرض ياجاكوب؟

- لازالت المدة طويلة لاتخف ياصديقى، فلم يمر من الثلاثة أشهر إلا عشرة أيام فقط، ولدينا الوقت الكافى لحل المشكلة.

ليتك تقول الحقيقة.

- لاتخف.

- ماذا أفعل مع يونى؟

- ستعطى له ماله مع الفائدة المتفق عليها طبعًا، وإلا سيأخذ البيت والمصنع.

- ولكنهما بستمائة ألف دولار وهو لم يدفع إلا مائة وخمسين ألفا فقط.

- هذه هى القروض ياموشيه، والعقد شريعة المتعاقدين، وأنا شاهد على ذلك، فأنت تعرفنى جيدًا، أنت صديقى وحبيبى لكن هذا لن يجعلنى أحيد عن الحق، إن لم تعط للرجل ماله وفائدته المستحقة كان البيت والمصنع ملكًا له، ورغم أنك صديقى سأكون شاهدًا على ذلك.

- ولكنه عم عاميت زوجتك وليس غريبًا عنك، لابد أن تتفق معه اتفاقًا احتياطيًا حتى لايضيع الوقت ويضيع كل شئ.

- أى اتفاق ياموشيه؟!

قالها ناظرًا إلى موشيه كوحش مفترس، وقد جاءت له الضحية بإرادتها، ساعية على قدميها وما عليه إلا أن يأكلها ويبتلعها دون مقاومة.

- عليه أن يكمل لى ثمن الورشة، بدلًا من أن يدفع الخمسمائة ألف سأبيعها له بأربعمئة ألف فقط، ويعطينى باقى المبلغ ويخرج البيت من الرهن، وبذلك يكون رابحًا مائة ألف دولار غير الفائدة المستحقة.

- سأعرض عليه، هون عليك ياصديقى، ستُحل كل الأمور، ولكن عليك أن تقف معى أولا لنخرج شاؤول من القضية لنسترد أموالنا.

- عشرون ألف دولار فقط دفعتها ياجاكوب وحزين عليها كل هذا الحزن !! فماذا أفعل أنا الذى ضاع منى كل شئ؟!

- غير جاكوب من لهجته، وبدا كأنه مدرس يشرح لتلميذ بليد.

- لى صديق، ضابط كبير فى مكافحة المخدرات سيأخذ ثلاثين ألف دولار ويخرجه من القضية.

- وكيف عرفت هذا؟

- جاءنى مرسال من شاؤول، فهذا الضابط صديق مشترك بيننا، وقال لى: ادفعوا له المبلغ وبمجرد خروجى سأعطى لكم كل مستحقًاتكم، فلدى الكثير فى بنوك إسرائيل وأوربا وحتى فى بنوك المغرب.

لمعت عينا موشيه وقال :

- تعـرف جيـدًا أنـى أثـق فيـك ياجاكـوب، مـاذا تفعـل لوكنـت مكانـى؟

- طبعًا أدفع القليل كى أتمكن من استرداد الكثير.

- غـدا سـيكون عنـدك ثلاثـين ألـف دولار كاملـة، وعليـك أن تنهى الأمـر بمعرفتـك، فأنـا أثـق بـك كل الثقـة، أرجـوك لاتخذلنـى ياجاكـوب.

عاد موشيه إلى المنزل بوجه أصفر شاحب.

- مابك ياحبيبى؟

- أنا بخير، لاتقلقى يا أمى.

خرجـت إسـتر مـن غرفتهـا فـور سـماعها صوتـه وهـى تلبـس روبـا من تحتـه قميـص نـوم أحمـر يريـد أن يظهـر، ولكنـه قـرر أن يختبـئ مؤقتـا حتـى تنـام أديفـا، ويخلـو لهـا الجـو، فقـد قـررت إسـتر أن ترفـع حظـر الحمـل الـذى اسـتمر لسـبع سـنوات، فقـد حـان الوقـت كـى يكـون موشـيه أبًـا.

- تصبحـان عـلى خـير، خـذ زوجتـك فى حضنـك ونـم ياحبيبـى، وفى الصبـاح لنـا كلام آخـر.

- وأنتِ من أهل الخير يا أمى.

قالتهـا إسـتر داهشـة مـن لهجـة أديفـا « مـاذا حـدث لموشـيه فهـو لم يصلـح الـرب حالـه إلا منـذ عـشرة أيـام فقـط، هـل أتـى بمصيبـة جديـدة، الـرب يسـتر؟!».

جاكوب

تمكن جاكوب من استرداد مبلغه الذى أعطاه لشاؤول، صحيح أن الذى دفع المبلغ هو موشيه، ولكن هذا لا يهم، المهم أنه حصل على ماله، فقد أعطى ضابط مكافحة المخدرات خمسة ألاف دولار فقط رشوة، واعتبر الخمسة والعشرين الباقية هى أمواله التى دفعها لشاؤول، وقد زادت خمسة ألاف دولار قيمة الفوائد، فهو لم يظلم أحدا ولكنه يأخذ حقه، وهذا دائمًا مايرضى ضميره، وموشيه حمله ثقيل ولن يمثل هذا المال عبئا يذكر، فمصيبته كبيرة، كان الرب فى عونه.

- ألوه، شالوم.
- شالوم.
- أريد أن أتحدث إلى موشيه، أنا جاكوب، حضرتك مدام إستر زوجته؟
- نعم، أهلاً بك ياسيد جاكوب، دقيقة واحد.

وراحت تنادى على موشيه:

– تليفون ياموشيه، جاكوب يريد أن يتحدث إليك.

قام بسرعة وأمسك بالسماعة:

– ماذا فعلت ياجاكوب؟

– كل شئ تم كما نريد، وشاؤول معى الآن وننتظرك.

– سأحضر حالًا.

وصل التاكسى دونما حوادث رغم أنه كان طائرًا بعد تحريض موشيه للسائق أن يقود بأقصى سرعة، فالمسألة حياة أو موت فنفذ السائق ماطُلب منه دون اقتناع، فما هى المسائل التى هى حياة أو موت التى تتداول فى البارات، وحدث نفسه قائلًا: يمكن أن يكون الكلام صحيحا إذا كنا ذاهبين إلى مستشفى...دفع موشيه له الأجرة وهرول إلى مكتب جاكوب..

– شالوم، حمدا للرب على سلامتك ياشاؤول.

– قالها موشيه وهو يقبله.

– كنت تعتقد أن مالك ضاع؟

– أبدًا، أبدًا، أنا أثق بك ياشاؤول، ويكفى أنك من طرف صديقى الحميم جاكوب.

– أريد أن تحضر لى مائة ألف دولار أخرى، سأجلب بها بضاعة وأسدد لك المائتين وأرباحهما معًا، وبذلك أكون قد وفيت بوعدى معك.

- كلام معقول.

- قالها جاكوب.

- أى كلام هـذا ياجاكـوب الـذى تقـول عنـه إنـه معقـول، فأنـت أكثـر النـاس معرفـة بظـروفى، مـن أيـن آتـى بالمـال؟

- كنـت أريـد أن أرجـع لـك مالـك بسرعـة حتـى لاتسـئ الظـن بـى ياسـيد موشـيه، وهـذا هـو أسرع حـل.

قالها شاؤول.

- هذا الحل لا يناسبنى، فهل لديك حلول آخرى؟

- أسـدد لـك المبلـغ بـدون فوائـد عـلى عـشر سـنوات، كل سـنة عـشرة آلاف دولار.

- أحسنت ياشاؤول، أراك والرب رجلاً محترماً.

قالها جاكوب.

هو لا رجل ولا محترم.

قالها موشيه بصوت عال وبغضب واستطرد:

أنـا أريـد مـالى يالصـوص، لقـد ضـاع كل مـا أملـك، لقـد انتهيـت أنـا وأسرتـى فى عـشرة أيـام.

- أنـت تهيننـى ياموشـيه، ولكنـك صديقـى وأعـرف مـا تمـر بـه مـن محنـة، لذلـك سـامحتك، لـو قالهـا غـيرك لدفـع الثمـن غاليًـا .

قالها جاكوب مهددًا لموشيه ولكن بحذر فانفعل شاؤول هو الآخر قائلًا لموشيه :

- وأنا الذى خرجت لفورى من السجن إليك لم أذهب لأولادى قبل أن أقابلك وأطمئنك على حقك عندى، والرب لن أعطيك دولارًا واحدًا.

قالها شاؤول غاضبًا فقام عليه موشيه ثائرا وهو يلتقط فتاحة جوابات تشبه الخنجر كانت أمام جاكوب ضمن اكسسوار المكتب وطعنه عدة طعنات متتالية قائلًا:

لتكن الليلة آخر ليلة فى عمرك أيها اللص الحقير، فأرداه قتيلا.

خمس دقائق مرت كأن الزمن قد توقف والصورة كما هى، لم يتحرك أى طرف من أطرافها ولو حركة واحدة، شاؤول ملقى ميتًا على الأرض فى مكتب جاكوب الذى هو جالس متسمراً فى كرسيه الخاص وموشيه جالس على أحد الكرسيين المقابلين للمكتب فى ذهول، فكل شئ حدث بسرعة، وموشيه وجاكوب لم يصدقا ما حدث حتى الآن.

ظل جاكوب يفكر فى مصلحته كالعادة، فهو لو أبلغ البوليس سيقول موشيه فى التحقيقات كل شئ عن المخدرات، ويورطه فى قضية كبيرة وهى جلب المخدرات وغسيل الأموال، وسيرد البيت والمصنع بعد أن احتال على موشيه باسم هذا الرجل

الـذى هـو عميـل لديـه مـن الباطـن، فيكفـى موشـيه أن يأخـذ قرضًـا بسـيطًا مـن البنـك ويـرد المـال وتضيـع الصفقـة.

– صديقـى لا تخـف، لـن أتـركك، اذهـب الآن إلى بيتـك وغـدًا لناظـره قريـب.

قالهـا جاكـوب لموشـيه الـذى بمجـرد أن سـمع ماقالـه جاكـوب حتـى عـادت إليـه الـروح مـرة أخـرى قائـلًا :

– أعرف جيدًا أنك صديقى الوحيد ولن تتركنى.

– طبعًا، طبعًا.

قالها جاكوب.

ومـا أن خـرج موشـيه مـن البـار حتـى اتصـل جاكـوب بإيـزاك الـذى وعـده بإنهـاء المشـكلة خـلال سـاعة، وأنـه سيرسـل رجالـه فـورا، فكانـوا أربعـة، قابلهـم فى الريسبشـن، قـال أحدهـم.

– خيرًا ياسيد جاكوب، أنت لاتتصل بنا إلا فى الأمور الكبيرة.

فدخل به غرفة المكتب قائلًا :

– سـأتركك هنـا أنـت والرجـال، عليـك أن تتخلـص مـن هـذه الجثـة وتزيـل كل أثـر فى الغرفـة ولا تـترك لى إلا هـذه – مشـيرًا إلى فتاحـة الخطابـات التـى تشـبه الخنجـر – لأنهـا أداة الجريمـة وبصـمات القاتـل مازالـت عليهـا.

اذهب أنت ياسيد جاكوب، واعتبر كل ما تتمناه قد حدث، فمسيو إيزاك أمرنا أن ننفذ كل ما تأمرنا به، فنحن رجالك وفى خدمتك.

فأعطى له جاكوب ألف دولار، فابتسم.

★★★

مرت خمسة أيام كان موشيه يحاول أن يتصل بجاكوب أو حتى زوجته عاميت دون جدوى، فالبار مغلق ومعلق عليه لافتة كبيرة «مغلق للتحسينات «، وتليفون المنزل لايرد، وهو لم يزره أبدًا فى البيت، يجرب موشيه الاتصال فى اليوم السادس فيجيبه جاكوب بصوت مبحوح ضعيف كأنه مرض:

– أأنت فى البيت؟ اعط لى العنوان بالتفصيل كى آتيك حالًا.

أعطى جاكوب موشيه عنوان البيت وما أن وصل حتى قابلته عاميت متأثرة.

– لقد خرج جاكوب من السجن اليوم فقط بعد خمسة أيام موقوفاً فى مركز التحقيقات.

دخل موشيه وسلم على جاكوب قائلًا :

– ماذا حدث بالضبط؟

– قررت أن أحميك فأنت صديقى الوحيد، فبلغت الشرطة.

– ماذا تقول؟

- نعم، أبلغت الشرطة وأعطيتهم أداة الجريمة، وقلت إن أحد أصدقاء شاؤول تعارك معه وطعنه وفر، وأعطيت لهم أوصاف بعيدة عنك تمامًا.

- كنت أعرف أنك صديقى وحبيبى.

- ولكنى أخطأت خطأ لم أتداركه من هول الموقف.

عاد الخوف مرة أخرى يسيطر على وجه موشيه بعدما اختفى فى بادئ الأمر.

- ماهو ياجاكوب؟

- بصماتك مازالت على أداة الجريمة، وهى حاليًا فى المعمل الجنائى، ويمكنهم عن طريق البصمة أن يصلوا إليك بسهولة، عليك أن تهرب فورا ياموشيه، عليك أن تغادر إسرائيل فى أقل من أسبوع فأنت فى خطر ياصديقى.

- والبيت والمصنع؟

قام جاكوب من سريره ونادى على عاميت زوجته.

- تعالى ياعميت، موشيه يعرف إننى لا أحتفظ بسر لاتعرفينه، عليك إقناع عمك فورًا بإعطاء موشيه مبلغًا آخر يمكنه من الهجرة.

- أعرف أنه سيرفض، ولكنى أستطيع أن أعطيك مبلغ مائة ألف دولار وتبيع لى أنا البيت والمصنع وأنا أسدد قرض عمى.

- أنت إنسانة عظيمة وطيبة القلب يا عاميت.

قالها جاكوب، وهو ينظر لموشيه.

- أين أذهب بأسرتى ياجاكوب؟

- أنت عربى، وهذا المبلغ لو ذهبت به لأى دولة عربية يمكن أن يجعلوك أميراً فيها فكلهم فقراء، ولو ذهبت إلى مصر يمكننى أن أستخرج لك بطاقة وشهادة ميلاد وجواز سفر بأى اسم وأية ديانة، فلى فى مصر أصدقاء على أعلى مستوى.

نظر موشيه فى وجه جاكوب ثم عاميت وصمت لثوانٍ ثم قال :

- إن القرار ليس لى وحدى، ولكن لى رجاء.

- تفضل ياموشيه، فأنت صديقى وسأفعل كل شئ فى صالحك.

قالها جاكوب بود كأنه يداعب طفلا:

- أمى، أديفا، أكيد ستطلب أن تتحدث لك، فأرجوك أن تجعل موضوع الرهن والحشيش وكل ما حدث كأنه لم يحدث.

- إذن، فماذا تريد منى، قل لى ماتريده وأنا سأقوله لأمك فور اتصالها بى، لن أزيد أو أنقص منه حرفًا واحدًا.

- قل لها إننا تشاجرنا أنا وشاؤول وقتلته قبل أن يقتلنى وأنت شاهد أننى كنت أدافع عن نفسى، فهو كان سكرانا وظل يشتم ويسب حتى فقدت وعيى.

– سأقول لها هذا تمامًا، ولكن بالنسبة للمصنع والمنزل؟

– قل لها إنك ستشترى بأعلى سعر إنقاذا لصديقك، وأى سعر تطلبه أديفا وافق عليه، وأنا سأقنعها أن هذا الرقم يعادل مئة ألف دولار، ومن الأفضل ألا نأخذ معنا عملة إسرائيلية ونحن خارج إسرائيل، أما الدولار فهو عملة عالمية.

– اتفقنا.

غادر موشيه منزل جاكوب وما أن فتحت أمه له الباب حتى قالت :

– ماذا بك ياموشيه؟!

كانت أديفا وإستر يشاهدان التليفزيون.

«اكتشفت الشرطة اليوم جثة شاؤول جلعاد الذى توفى إثر طعنات بآلة حادة، وجارى البحث عن الجانى»، فوقف فى صالة المنزل وقال فى مشهد هستيرى «

«الشرطة تبحث عن الجانى، وأنا الجانى، أنا الذى قتلت هذا الرجل يا أمى والسجن مدى الحياة ينتظرنى يا إستر».

صرخت أديفا وإستر، فتداخل صوتهما، وتحولت صالة المنزل إلى قاعة للنحيب.

– اهرب ياموشيه، اذهب إلى مصر، عش فى المناطق البعيدة العشوائية التى لاتستطيع الشرطة أن تدخلها أصلا، وأنا سآتى معك.

قالتهـا أديفـا التـى كانـت تحلـم بالرجـوع إلى مـصر منـذ وفـاة زوجهـا إبراهيـم مزراحـى، ويبـدو أن القـدر سـيحقق لهـا الأمـل.

جاكـوب سـيحضر لى كل شـى، وكان يريد أن يتحـدث إليك يا أمى.

وأعطى لها التليفون، بعدما طلب الرقم.

- أشـكرك ياجاكـوب، أشـكرك يـا بنـى أن وقفـت معنـا فى هـذه المحنـة، موشـيه قـال لى أنـك تملـك اتصـالات واسـعة فى مـصر.
- هذا صحيح.
- أريـد ثلاثـة جـوازات سـفر، كريمـة محمـد عبدالسـلام مصريـة مسـلمة، وموسـى إبراهيـم إبراهيـم مـصرى مسـلم.

ونظـرت لإسـتر ووضعـت يدهـا عـلى التليفـون كـى لايسـمع جاكـوب

- وأنتِ يا إستر؟
- أنـا سـأظل إسـتر، وسـأظل هنـا فى إسرائيـل ولـن أشـى بـما أعرف فى حالـة واحـدة، إذا طلقنـى موشـيه بهدوء.

قالتها إستر، فلم تهتم أديفا وأكملت المكالمة مع جاكوب.

- عليـك أن تحـضر لنـا جوازيـن فقـط، فإسـتر عائلتهـا هنـا، وسـتبقى فى إسرائيـل.

وما أن انتهت المكالمة حتى قامت أديفا واحتضنت إستر وقالت لها:

- الرب يعلم كم أحبك فأنت مثل ابنتى تمامًا، وسيفعل موشيه كل ماتريدين، وسنرسل لك نفقاتك من مصر.
- الطلاق هو طلبى الوحيد.
- لك ماتريدين يا ابنتى.
- و سركما فى الحفظ والصون، ولن يعرف به أحد ماحييت.

وبكت أديفا فبكت لبكائها إستر.

★★★

نفذ جاكوب الخطة كاملة واستولى على كل شئ، البيت والمصنع اللذين يستطيع جاكوب أن يستثمرهما أو يبيعهما بمليون دولار على الأقل وهو لم يدفع فيهما سوى مائة وخمسين ألف دولار أولا، ومائة ألف فقط مطلوبة مع جواز السفر لمغادرة إسرائيل، وكان الفضل كله فى نجاح الخطة الشيطانية يرجع لإيزاك عم عاميت زوجته، فهو ضابط كبير فى الموساد - نائب رئيس جهاز الموساد ومسئول ملف مصر - وقد استطاع فى العشرين سنة السابقة أن يزرع رجالا له بين صفوف السلطة الفلسطينية، وفى مصر، فله أصدقاء كثر أعضاء فى الحكومة وفى المعارضة ورجال أعمال يملؤون الشاشات والإعلام، وينتشرون فى كل شبر فى مصر.

وما أن تسلم موشيه جواز السفر وباقى المبلغ حتى وقع فورا على عقد بيع نهائى لعاميت زوجة جاكوب فأحتلت الابتسامة وجه جاكوب، وبدا منتشيا بالنصر الذى حققه وقال لموشيه:

- هذا رقم مسيو إيزاك الذى سيدخلكما مصر عن طريق الأنفاق، فرجاله الآن فى انتظارك، وهذا رقم صديقى فى مصر يعمل فى العقارات وفى كل شئ، بمجرد دخولكما مصر اتصلا به، وهو سيقوم بكل شئ، ولكن عليك ياموشيه أن تنسى هذين الرقمين فور دخولك مصر، ولاتحاول الاتصال بهما أو أن تذكر اسمهما ففى هذا خطر كبير على حياتك.

- حاضر، حاضر.

قالها موشيه فى رعب لم يصله قبل اليوم أبدا.

موسى النجار

القاهرة ٢٠٠١

مرت سبع سنوات على موشيه فى القاهرة، لايتحرك إلا بعدما يسأل أمه مدام كريمة عن كل شئ؛ فقد أبهرته بذكائها وقوتها، فقد أعاد اكتشاف أمه التى عاش معها دون أن يعرفها ثلاثين عامًا ولم يعرفها إلا الآن.

الرعب يسيطر على موشيه لأنه سيعيش بين الأعداء، وسيصير واحدًا منهم، قابله ثقة من أديفا التى أشعرته وكأنها كانت فى رحلة قصيرة وعادت إلى بيتها من جديد، ساعدها فى ذلك أن البيئة التى كانت تعيش فيها أيام الفقر والذل، أيام كانت من أطفال الشوارع مماثلة لمثل هذه الأيام، فالشارع الذى كانت تعيش فيه وهى صغيرة يشبه إلى حد كبير شارع السكة الذى اشترى لهم فيه عميل جاكوب بيتًا مكونًا من ثلاثة طوابق على مساحة مائة وخمسين مترا بعشرين ألف دولار فقط.

خصصت أديفا الدور الأرضى ورشة لموشيه، والدور الثانى شقة تجمعهما، والثالث شقة لموسى بعدما يتزوج، فقد خططت لكل شئ.

ولكن موسى كان يصاب بالرعب بمجرد أن يرى أى شخص من سكان هذه المنطقة عكس أمه التى تأقلمت بمجرد وصولها فهى كانت تعيش فى هذا الوسط وراضية، وكانت فى بعض الأحيان سعيدة، أحبت الناس وتعرفت عليهم، فصارت واحدة منهم وكبيرة بهالها وسنها ولسانها الذى يجذب كل من يحدثه، وقدرتها الفائقة فى اكتساب ثقة هذه الطبقة، فهى منها وتفهمها جيدًا.

- لماذا تخاف يا موشيه؟
- ألا ترين هذه الوجوه ياأمى؟!
- هى من صنع الله.
- هؤلاء مجرمون يا أمى.
- لا تقل ذلك، هم فقراء، وانت تعرف من المجرمين.
- ماذا تقصدين يا أديفا؟!
- أنت قاتل وهارب، أما هؤلاء فيسرقون قوت يومهم الذى لايستطيعون أن يحصلوا عليه إلا بهذه الطريقة.
- ألا تعرفين تاجر الخشب ماذا قال لى عندما أعطيته العنوان ليرسل لى الخشب، كما يفعل مع كل عملائه؟

- ماذا قال؟

- كان خائفا رغم أنه يملك مالا ورجالا تعصب عين الشمس وهو يقول لى: هات سيارة وحمل فيها خشبك فنحن لا نستطيع أن ندخل شارع الغجر.

ضحكت أديفا.

- وهذا الذى يخيفك؟! لا تكن أحمق، لو استطعنا أن نجمع هؤلاء الناس حولنا ستصير لنا عزوة وقوة نجابه بها من يعادينا.

- أشك فى ولاء هؤلاء، إنهم مصريون يا أمى، وليس هذا فقط، إنهم مسلمون إرهابيون.

- اخفض من صوتك، هل جننت؟!

قالتها كريمة، وهى تنهره وأردفت قائلة :

- أنسيت أنى مصرية وأبوك كان مصريًا وأنا كنت مسلمة وأصبحت يهودية والآن رجعت لإسلامى.

- بهذه السهولة؟!

- نعم بهذه السهولة، ولا تجادلنى ياموسى، ولا تفكر أبدا، وما عليك إلا أن تنفذ ما أقوله، ويكفيك ما كان.

شعر موشيه أنه قد تجاوز حدوده، فاعتذر لأمه وقال :

- آسف يا أديفا؛ فإن الخوف قد شل تفكيرى، وجعلنى أهذى.

- لا عليك، ماذا فعلت مع الأسطى صلاح؟

- وماذا أفعل معه يا أمى؟

- أعطه ماطلب.

- كيف أعطيه سلفة من مرتبه وهو لم يعمل إلا يومين والسلفة تعادل أجر أسبوعين.

- افعل ما آمرك به.

وكشرت عن أنيابها.

- حاضر، حاضر.

★★★

بالورشة ثلاثة نجارين مهرة، واثنان مساعدان، واستورجى يعملون أمام الورشة وداخلها، فللورشة بابان، باب فى آخره المكتب الذى تجلس فيها أديفا وبه حمام يستخدمه العمال وبعض المارة؛ فشارع الغجر ليس فيه مراحيض وإمام المسجد يغلق المسجد فور انتهاء الصلاة، ولا يتركه مفتوحا أبدا حتى لا يحتله المتسولون، أما الباب الثانى فيفتح على مستطيل كبير آخره منشار كهربائى لقطع الأخشاب وتفصيل الموبيليا، وكان موشيه يقوم عليه بنفسه.

ماحدث لموشيه هو مايشبه البركان الذى يمكنه أن يعود بالخير كما أضر، وأحيانا يكون النفع أكثر من الضرر، فقد تحول إلى إنسان يهرب من كل الناس إلى العمل فأتقنه وربح واستقر بعيدا عن المشاكل، يبتكر فى الرسومات، ويهتم جدا بالتفاصيل والخامات، حتى أن معارض الموبيليا لا تفاصله فى ثمن الغرف، فهم يعرفون أنه يستخدم أفضل أنواع الأخشاب، بالإضافة إلى ذوقه العالى فى اختيار الموديلات.

نجاح الورشة جعل أديفا تفرض سيطرتها على المنطقة فكانت تطعم الجائع، وتضمن المتهمين من سكان الشارع وتخرجهم من قسم الشرطة، وتنفق على العاطلين والأرامل وتشغل أبناءهم فى الورشة التى توسعت، فأجرت كل المحلات المتاحة فى الشارع وقسمت عليها أعمال الورشة.

شارع الغجر

أول مايلفت نظرك، حين تمر من سوق الخضار داخلا شارع الغجر، أن شارع السوق مرصوص على الجانبين بباعة الخضار والفاكهة ومشنات العيش البيتى والبيض والجبن القريش والزبد الذى تبيعه الفلاحات اللائى يأتين من بشتيل البلد أو البراجيل أو أوسيم القريبة، لافتة كبيرة مكتوب عليها منزل الحاج صالح ٨ ش السكة، وسهم يشير إلى شارع الغجر الذى يعيش فيه الحاج صالح مع أبنه أشرف وابنته ريهام بعدما توفيت أمهما وصارا وحدهما كل شئ فى حياة صالح..

- بابا ياريت تاخد الكرسى دا معاك تصلحه فى ورشة موسى.
- حاضر، وأنا نازل أصلى العصر هاخده معاى.
- بس ماتطولش القاعدة فى المكتب..

قالتها ريهام وهى تبتسم ابتسامة خبيثة.

★★★

منذ وصوله للمعاش بسلام أصبحت تحركاته بسيطة مابين المسجد والبيت الذى يقضى فيه معظم وقته، يعيش دائما فى قلق وصراع بين الرضا بماقدر الله له، ورفضه للواقع المؤلم الذى يعيشه، فمنذ ثلاثين عامًا أخذ صالح ميراثه من أبيه وأخذ سلفة من هيئة النقل العام التى تدرج فى وظائفها؛ عمل كمسريًا فسائقا فمفتشًا فى الهيئة، اشترى هذه القطعة من الأرض، وبنى عليها بيتًا مناسبًا فى منطقة هادئة وقتئذ، وفى شارع جميل هادئ اسمه شارع السكة، ولكن بمرور عشرين عامًا تقريبًا تغير كل شئ، الهدوء تبدد والاسم تغير وأصبح البيت غير مناسب له ولابنته ريهام، ولكن أشرف استطاع أن يتأقلم فحزن عليه والده الذى لا يرضى عن كل تصرفاته، ولا عن طريقة نطقه للحروف، ولا إيماءاته حين يتكلم كأنه مجرم يكلم مجرمين.

لم يظهر الكبر على صالح، فقد أتم الخامسة والخمسين من عمره وهو الذى سعى للمعاش المبكر حينما تعرض ابنه أشرف للضياع فى قضية تجارة بنجو لفقت له من أمين شرطة ينافسه فى حب فتاة من شارع الغجر، قرر وقتها أن يتفرغ لرعاية أولاده وكان يدعو الله باكيا :

يارب طلع لى أشرف من المصيبة دى وأنا هاقفل عليه الباب واقعد جنبه لا أروح لا شمال ولا يمين، مخدرات؟! دا أنا عمرى ماشربت سيجارة؟!

ينـزل دائـما فى كامـل أناقتـه، جلبابـه الأبيـض الـذى يكويـه بنفسـه أفضـل مـن المحترفـين، وشـعره الأسـود الحريـرى الـذى تسـلل لـه بعـض الشـيب خلـف أذنيـه، وسـيم، ووجهـه أبيـض وأنفـه رشـيق يليـق بوجهـه الجميـل، فهـو رجـل نزيـه وأنيـق بـكل مقاييـس المناطـق الشـعبية، وقـد أخذت منه ريهـام الحسـن وأفاضت، أمـا أشرف فجميل ويشـبه والـده وهـو صامـت، ولكـن حـين يتكلـم يضيـع كل شـى.

– مساء الخير يا باشمهندس موسى.

– مساء النور ياحاج صالح، في إيه فى الكرسى اللى معاك ده؟

– أهوه.

وهو يعطيه الكرسى قائلا:

– خده، وظبطه ياحبيبى.

تخرج أديفا.

– أهلا وسهلا، إحنا زارنا النبى.

– عليه الصلاة والسلام.

وهـو ينظـر لأديفـا التـى خرجـت مـن مكتبهـا فـور سـماع صوتـه لترحـب بـه، فيتركهـما موشـيه كـى يكمـل عملـه، فتصحبـه أديفـا إلى المكتـب قائلـة:

– مـن سـاعة آخـر مـرة وانـت ماعدتـش علينـا ياصالـح، ياراجـل شـهرين مانشـوفكش، واحنـا البيـت جنـب البيـت.

- والله ياكريمة الأولاد مسئولية وأنا قاعد لهم زى الحارس.

- من إيه بس؟! خليها على الله.

- الحتة اللى احنا فيها دى ملعونة، والناس هنا وحشة قوى ياكريمة.

وينظر إليها متعجبًا، كأنه تذكر فجأة شيئا كان قد نسيه:

- هو انت إيه اللى جابك هنا؟!

- النصيب ياصالح، اللى جابك جابنى.

- وانت إيه اللى جابك هنا؟

- كانت حتة جميلة، والناس طيبين من تلاتين سنة، عارفة البيت ده كان حلم حققته وطلع كابوس.

- ياساتر يارب، إزاى ياصالح مش فاهمة؟!

قالتها وهى تضع كنكة القهوة على السخان الصغير أمامها وهى جالسة على المكتب.

- عشت طول عمرى باحلم أسيب الشقة الإيجار وأبنى بيت لى ولعيالى، لكن انت وموسى جيتوا اشتريته البيت اللى صاحبه كان بيدلل عليه، وعاوز يبيعه بأى تمن عشان يهرب من المنطقة، حد يشترى بيت فى شارع الغجر، وييجى برجليه يعيش هنا؟!

رأت أديفا أنها لابد أن تحسم هذا التساؤل الذى يدور فى أذهان معظم سكان الشارع، فنظرت إليه وهى تعطيه فنجان القهوة قائلة :

- بص ياصالح، إنت عندك حق، فعلا هى حاجة تحير.

فقال مقاطعًا :

- على فكرة كل الناس اللى هنا سألوا نفس السؤال.

- أنا هأقول لك ياصالح، إنت عارف إن ابنى موسى هو كل حياتى، من ساعة ماجوزى اتوفى عايشة عشانه، وممكن أضحى براحتى عشان أأمن له مستقبله.

- مش فاهم ياكريمة، ودا إيه علاقته بإنك تعيشى هنا فى المنطقة دى؟!

- الورشة..

- مالها الورشة !

- أى منطقة راقية الناس اللى عايشين فيها هيعترضوا على الخبط والإزعاج، وممكن يعملوا محاضر لابنى ويئذوه، لكن هنا..

- هنا مش بنى آدمين؟!

- لا ما اقصدش، هى كل الحكاية إن المنطقة هنا عشوائية وكلها ورش ومحلات بدون ترخيص، والمبلغ اللى اشترينا بيه البيت

كلـه عمـره مـاكان هيكفـى تمـن نـص ورشـة مرخصـة فى مـكان تانـى، عـلى قـد فلوسـنا ياصالـح، إحنـا كـمان مضطريـن زيـك بالظبـط، بـس إنـت التغيـير جـه عليـك ومنعتـك إمكانياتـك إنـك تمشـى، وأنـا منعتنـى إمكانياتـى إنـى أروح مـكان أحسـن مـن هنـا، وبعديـن إنـت هتوقعنـى فى الغلـط ليـه ياراجـل، المنطقـة الـلى فيهـا الأسـتاذ صالـح تبقـى أحسـن منطقـة.

فابتسم صالح قائلا:

- أقـوم واسـيبك بعافيـة ياكريمـة، هاخـد الكرسـى واطلـع، زمانـه خلـص.
- لا إطلـع إنـت بالسـلامة، وأنـا هابعتـه لـك مـع واحـد مـن صبيان الورشة.
- بس كدا باتعبك معاى.

وهـو ينظـر بابتسـامة، فمازلـت أديفـا التـى تزوجـت فى سـن السادسـة عـشرة شـابة وتصغـره بسـنتين، ومازالـت محتفظـة بجمالهـا.

- تعبك راحة ياصالح.

قالتها وعيناها فى عينيه.

- أنا هابعت الحساب مع الصبى.
- والله لو بعتت حاجة لازعلك.

قالتها مهددة وهى تضحك.

– ماتخلنيش أقلب على الوش التانى، إنت ماتعرفش قلبتى.

– يعنى إيه؟! أنا ما أقبلش أعمل شغل ببلاش.

– هو فين الشغل ده هو إنت لسة عملت حاجة؟! دا كرسى دقينا فيه مسمارين، لما تبقى حاجة كبيرة ماتخافش مش هاسيبك إلا لما تدفع الحساب.

– أمرك ياستى، من ساعة ماعرفتك ياكريمة، من خمس سنين، وأنا باخاف من قلبتك، ولغاية دى الوقت مش عارف إنت طيبة ولا أشر من الجماعة اللى هنا.

– إيه اللى بيخليك تقول كدا ياصالح؟

– قدرتك على التعامل مع الأوباش والحرامية، وكل الناس اللى هنا حبّيتك فى الفترة القصيرة دى، يمكن بيقولوا على موسى قليط شوية، بس أنا بيعجبنى اقتصاره عن الأوباش، لكن إنت !

– أنا إيه ياصالح؟

– مدرسة، مدرسة كبيرة ياكريمة.

– إيه اللى بيخليك تقول كدا؟!

– قصدك إيه ولا إيه ولا إيه، حاجات كتير قوى آخرها أول امبارح.

فقالت كريمة متعجبة :

- كنت عاوزنى أسيب شابين زى الورد يقطعوا بعض علشان سلسلة فضة مالهاش أى لزمة؟!

- طبعا لأ، أنا مستغرب من موقفك، ما كل الرجالة كانت واقفة وخايفة تحجز لكن إنت إتحولتِ فجأة « عندك ياد إنت وهو، إنتوا مش عاملين حساب لحد، سلسلة إيه اللى تخليك تخسر أخوك ابن منطقتك، السلسلة وتمنها عندى، تعالى معاى وخدها منى أنا ياحربى».

- وخدتِ حربى، وقعد معاكِ عشر دقايق، وقام راضى وباس راس أيمن واعتذر له، ولما أيمن سأله: هى إدت لك سلسلة فضة بدل اللى ضاعت؟ قال له لأ، بس قدرتنى.

قاطعته قائلة:

كل دى حاجة حلوة ولا حاجة وحشة؟!

مش فاهم قصدك؟!

إنت شايف إن اللى أنا عملته دا صح ولا غلط؟

- المدهش إنه خطير، ومافيش راجل يقدر يخش بين اتنين كل واحد منهم فى إيده عاشورة وعاوز يقطع التانى.

- لإنى أنا بميت راجل ياصالح، يعجبك ولا ما يعجبكش؟

قالتها وهى تبتسم، بينما عيناها مازالت فى عينيه.

– يعجبنى طبعا ياكريمة.

وما إن مشى صالح حتى قالت أديفا محدثة نفسها :

« الحل الوحيد اللى هيقضى على الماضى وبلاويه ويزرع لنا جذور جديدة وكبيرة هنا ويخلينا فى أمان إن موشيه يتجوز بنت صالح، وإقناع موشيه مهمة سهلة قوى، كل الرجالة بيحبوا الجمال والدكتورة ريهام جميلة قوى، بس المهم إنها هى اللى توافق على موشيه، وعموما خطتى لازم تكمل للآخر عشان أأمن حياتى وحياة ابنى الوحيد، لو موشيه ما اتجوزش ريهام يبقى ساعتها لازم أديفا تتجوز صالح ».

هاى نيرس

مع أن صالح اعتاد أن ينادى ابنته ريهام الجميلة بالدكتورة ريهام فهى ليست دكتورة ولا ممرضة عادية، فقد أصر على اقناعها بدخول كلية التمريض التى كانت جديدة فى ذلك الوقت لأن ابنة زميل له فى الهيئة حاصلة على البكالوريوس - أربعة سنوات بعد الثانوية العامة - ولم تجلس يوما واحدًا فى بيتها بعد التخرج تنتظر التعيين أو تبحث عن العمل، فالكلية جديدة وعدد الخريجات محدود، وكل المستشفيات الكبيرة الخاصة والاستثمارية تتمنى تعيين فريق كامل من خريجات هذه الكلية وتستغنى شيئا فشيئا عن النظام القديم فى التمريض، والذى تكون كل مؤهلات الممرضة فيه ثلاث أو خمس سنوات بعد المرحلة الاعدادية، ولكن التعليم الجامعى وإتقان اللغات، والتعامل مع الأجهزة الحديثة فى المستشفيات يتطلب مستوى آخر، وهذه الكلية تؤهل له وتمهد للتعليم العالى ماجستير ودكتوراة ودوبلومات فى إدارة المستشفيات وغيره كما هو مطبق فى كل دول العالم المتقدمة فى الطب، إلا أن الظروف التى أحاطت بريهام وعائلتها أسقطت هذه النظرة العملية فى بئر سحيق، مازال الناس لا يعرفون ولايفهمون،

ولازالت الساقطات يقلن لأسرهن إنهن ممرضات، ويعملن فى ورديات الليل ليبررن عودتهن بعد منتصف الليل، والذى يزيد الطين بلة أن تسكن هذه الممرضة فى شارع ملئ بتجار البانجو ويكفى أن اسمه شارع الغجر.

ريهام التى تؤمن تمام الإيمان أن والدها يتمنى لها الخير كله، مستاءة، فهى لاتزال فى السنة الثالثة من الكلية وأخوها أشرف أقرب الناس إليها يعيرها دائما حين ينشب بينهما أقل خلاف « انت فاكرة نفسك إيه؟! انت حتة ممرضة لاروحتِ ولا جيتِ، دا أنا باتكسف أقول لاصحابى وباضطر أكدب وأقولهم دكتورة »، هذا أشرف أخوها فما بال الآخرين، وهى لم تفعل له شيئا سوى أنها تنصحه أن يتمسك بفرصته الأخيرة ويذهب بانتظام للمدرسة، فهو الذى يكبرها بعام لازال فى السنة الثانية فى دبلوم الصنايع بعدما رسب فى الثانوية العامة ثلاث سنوات، فتحولت أوراقه إلى مدرسة الصنايع من السنة الثانية، وهذا ما يطلق عليه فى التربية والتعليم «تغيير مسار».

– يابابا شوف لك حل مع أشرف.

قالت ذلك وهى تبكى.

– منه لله يابنتى، ربنا يقدرنا على الشيطان اللى جواه.

– كان إيه هيحصل بس يابابا لوبعنا البيت دا ومشينا من هنا؟! أشرف انتهى، ضاع، وضاع مستقبله لأنه طول عمره عايش

مـع تجـار البانجـو، جيرانـه ومحاوطينـه هنـا فى كل حتـة.

- بصى يادكتورة.

فصرخت باكية:

- ماتقوليش يادكتورة.

ثم عادت إلى هدوئها معتذرة:

- أنا آسفة يابابا.

- والله يابنتى أنا بافكر فى المصلحة.

وقـام وهـو يشـمر عـن أكـمام الجلبـاب كـى يتوضـأ، ونظـر إليهـا قائـلا :

- أنـا ممكـن أبيـع البيـت الـلى حيلتنـا ده، ونـروح نشـترى شـقة فى فيصـل أو الهـرم تاخـد كل فلوسـنا وأخـوكِ يضيـع مايلقيـش شـقة يتجـوز فيهـا وإنـت ماتلقيـش حاجـة تسـند ضهـرك، الخمـس أدوار دول ياريهـام، أربـع شـقق ومحـل كبـير، همـا شـقا عمـرى كلـه، ممكـن تأجـروا الشـقق الـلى باقيـة والمحـل، ويبقـى عندكـم دخـل، لكـن تمـن البيـت ممكـن يجيـب شـقة نعيـش فيهـا وخلاص والدنيـا بتغـلى يابنتـى، ومسـيرك للجـواز وعـاوزة جهـاز، وأخوك عـاوز شـقة، نفسـى أبقـى متطمـن عليكـم قبـل مـا أمـوت.

- بعد الشر عليك ياحبيبى.

- عارفة ياريهام نسبة البطالة قد إيه فى مصر.

- طبعا عالية، البلد مافيهاش شغل.
- بصى يابنتى، الشهادة اللى متأهلش لعمل محترم ومرتب محترم ملهاش أى قيمة.
- عندك حق ياحبيبى.
- عموما كلها سنة وتتخرجى، وتحسى بالفرق بينك وبين زمايلك اللى كنت عاوزة تخشى معاهم كلية التجارة.

تعرف ريهام أن كلام والدها صحيح، وهى مقتنعة به تمام الاقتناع، فالمرتب الكبير الذى ينتظرها سيساعدها على تحقيق أحلامها، فهى تحلم دائما أن تسكن فى شقة بعيدة عن هذه المنطقة، وأن يكون لديها سيارة صغيرة، وأن تتزوج من رجل طيب وميسور الحال، فريهام رباها أبوها على أن الحب يبدأ بعد الزواج، ولكن حسن الاختيار هو الذى يسبق الزواج والحب، فاقتنعت اقتناعا كاملا، وظلت تنتظر رجلا وسيما طيبا ميسور الحال يخرجها من شارع الغجر دون أى شروط أخرى، وهى الجميلة البيضاء ذات القوام الممشوق والصدر العامر والخصر النحيل، فملامحها المنحوتة الجميلة تشبه ملامح والدها، ولكن الأنوثة جعلت الجمال بارعا، وشعرها الذى لم يره غير أبيها وأخيها يشبه سلاسل الذهب الممتدة وقد كست الظهر كله، ولكن عليها أولا أن تنهى دراستها ويرسل الله لها رجلا صالحا يشبه أباها يقبل أن يتزوج ممرضة من شارع الغجر كل مؤهلاتها أنها شريفة وجميلة.

جرس الباب يرن فتتقدم لتفتح الباب.

- فين الكرسى يابابا؟!

- كريمة هتبعته مع واحد من الصبيان.

- ياعينى ياعينى.

فيضحك صالح قائلا :

- إتلمى ياريهام أحسن لك.

إيه المانع يابابا، ست بتعزك، و من ساعة ماجت فيه حاجة فى الشارع إتغيرت، ست طيبة وابنها فى حاله، ماحدش سمع صوته من ساعة ماشفناهم.

- عندك حق، حاجة غريبة قوى.

- إيه هى؟

- إن الحيوان اللى اسمه حسيبة يدخل السجن قبل الست دى ماتشترى البيت بأسبوع.

- هو كان صاحب البيت اللى اشتريته مدام كريمة؟

- لا يابنتى، هو مش صاحب أى حاجة، بس هو السبب فى طفشان الراجل صاحب البيت.

- إزاى بقى؟

- كان عامل فردة على ورشة النجارة عشرة جنيه فى اليوم، زيها زى البياعين فى السوق، فكل واحد ييجى يأجرها يهرب.

- وبعدين؟!

- حسيبة قال للراجل أنا ماليش دعوة، هتتدفع إنت حتى لو ما اتأجرتش تلتميت جنيه فى الشهر مدام بابها مفتوح.

- أكيد كريمة دى ست طيبة، ربنا بعتها فى الوقت المناسب، لو كان حسيبة موجود كان بوظ لها البيعة.

- فكرك حسيبة كان هيقدر يعمل مع كريمة حاجة؟

- حضرتك بتقول إيه يابابا؟! حسيبة الشيطان اللى كل يوم يضرب واحد ظلم فى السوق عشان يخوف الباقين مش هيقدر على ست طيبة وابنها راجل فى حاله مش بتاع مشاكل!!

- أيوه والله يابنتى، عندك حق دا كان بيأجر للعيال الواقفين فى السوق مكان الواقفة من غير محل ولا أى حاجة، لو عاوز يبيع فى السوق يدفع عشرة جنيه فى اليوم.

- عشرة جنيه فى اليوم من كل واحد؟!

- أيوه يابنتى، لم ملايين، بس جاله الأقوى منه، رئيس المباحث الجديد وصل له تسجيل بيقول فيه حسيبة: أنا ممكن أضرب عبدالرؤوف بالجزمة، فواحد رد عليه ممكن عبدالرؤوف

يشتكى لرئيس المباحث الجديد، ودا راجل غير القديم خالص، فرد حسيبة: هاضربه هو ورئيس المباحث بتاعه بالجزمة.

- وعمل إيه رئيس المباحث يابابا؟

- دا كان يوم، نزل بالكرباج والكلبشات، لوحده، على رجليه بدون البوكس لأن الشارع ضيق والبوكس مايقدرش يدخل، وضربه حتة دين علقة، قدام الناس، كلبش إيده مع رجله فى سلسلة واحدة وقعد يضرب فيه بالكرباج وهو بيقول له: عامل فيها دكر ياروح أمك، أنا هاخلى العيال تضربك على قفاك، وهو يضربه بالكرباج فيتألم ويصرخ: والله ماعملت حاجة.

- قل أنا مرة.

- أنا مرة ياباشا.

- لو فيه أى حد له تار عند الكلب ده ييجى يضربه على قفاه دى الوقت.

قالها رئيس المباحث للناس فى قلب السوق.

- وهمه عملوا إيه يابابا؟

- الناس بتخاف يابنتى.

- بس هو اتكسر، ولما يخرج...

قاطعها قائلا :

- يخرج منين؟

- من السجن.

- لا ياحبيبتى، المسجلين خطر والإرهابيين من حق الداخلية إنها تعتقلهم فى ظل قانون الطوارئ.

- وهو احنا فى حالة طوارئ؟!

- احنا طول عمرنا فى حالة طوارئ يابنتى، بس المرة دى الاستخدام صحيح لأن دا إرهابى بيرهب المواطنين، القانون ده سلاح ذو حدين، ربنا ينتقم منه، أروح أتوضا عشان ألحق الصلا.

- حرمًا مقدمًا ياحبيبى.

مقلة أزأز

فى شارع الغجر، بين بيت أديفا وبيت الحاج صالح، مقلة أزأز لصاحبها أبوضياء، الذى يعيش فى بيته هو وابنه الوحيد ضياء بعدما طلق زوجته التى تزوجت من آخر فور انتهاء العدة، والبيت صغيرعلى مساحة ستين مترا واجهة المحل هى التى دهنت بالالون، ولافتة تضئ وتطفئ، أما باقى الثلاثة أدوار فظلت على حالتها الأولى بالطوب الأحمر.

أبو ضياء رجل تحتار فى تصنيفه، فلن تستطع أن تحدد مستواه الاجتماعى، فهو صاحب ملك، لكن هيئته هيئة فقير معدم، حتى أن ضياء لم يفخر به يومًا ولم يدع أحدا من زملائه إلى بيته ليتعرف على أسرته.

لازال المشهد يتكرر أمام ضياء، يرى نفسه وهو فى الثامنة من عمره يستحم فى بانيو بيضاوى وامرأة تلبس قميص نوم أحمر تضع عليه الماء والشامبو وتدلك جسده شيئا فشيئا، تصعد وتنزل حتى تعبث بيديها فى عضوه الذكرى فينتصب وهى تميل فيظهر جزء من صدرها فتميل أكثر فأكثر حتى يظهر النهد كله، فيصرخ.

لم يعرف ضياء من هذه السيدة، وهل هذه الصورة مختزنة فى عقله الباطن عن واقعة حقيقية، أم إنه لم يتعرض لهده الواقعة أبدا ، وما هذه إلا خيالات وأحلام يقظة ناتجة عن حرمانه الجنسى.

يلبس جلبابه الواسع الذى اعتاد أن يلبسه فوق شورت صغير داخلى فقط دون فانلة، فالجو حار والظهر أمامه ساعة واحدة ويؤذن فى نهار صيفى مشمس، وضياء الذى بلغ السابعة عشرة من عمره يرى أن من حقه أن يظهر عضلات ذراعيه وفتوته.

- صباح الخير ياحاج.
- صباح النور، خلاص كبرت ياضياء على كلمة بابا ما الناس كلها فى الشارع بتقول لى ياحاج.
- صباح الخير يابابا.

متعجبا من مبالغة أبيه، فكل الأبناء ينادون أباهم كما يناديه.

- صباح النور ياحبيبى، رايح فين؟!
- أجيب عيش.
- يابنى العيش عندنا كتير، أهو، ويشير إلى الخبز الكثير الذى يملأ شنطتين على ترابيزة السفرة.
- انت عارف ياحاج العيش مايتاكلش غير صابح.
- بالعكس العيش لما يتسخن بيبقى أطعم بكتير.

– براحتك ياحاج، كل إنت البايت، وسيب لى أنا الصابح.

كل يوم يذهب ضياء ليشترى العيش سعيدًا متلهفًا كأنه على موعد مع حبيبة انتظر شروق الشمس كى يلقاها.

ذهب لشراء العيش فصدم عندما رأى طابورين للزبائن، فالشيخ صلاح يمتنع عن بيع الخبز عندما يبدأ الالتحام بين الرجال والنساء، ويعمل على إيقاف حفل التحرش الجماعى الذى كان ضياء يأمل فى الاشتراك فيه، فقال ضياء محدثًا نفسه :

– إنت نبرت فيها يابابا؟! أهو مافيش عيش سخن.

انتظر ضياء فبعد قليل سيترك الشيخ صلاح الوردية، ويتولى غيره من حسنى النية، أما هذا الرجل العقر فيفهم كل شئ، يمد ضياء النظر فيرى سيدة بائعة الجبن القريش فيقترب منها وهى خارج الطابور ولكنها معدة للتحرش فى أى مكان فهى المادة الخام التى تساعد على اشتعال التحرش، اقترب منها ووقف بمحازاتها مستندًا إلى الحائط مثلها تمامًا فصارا ملتصقين من الجنب، كتفه فى كتفها وظهر كفه يلمس ظهر كفها وهما ينظران إلى الناحية الأخرى كأنهما لايقصدان ولايشعران بهذا التلامس، ينظر لها فتنظر إليه وتفهمه فهذه ليست المرة الأولى، فقد اعتادا أن يتحرش كلا منهما بالآخر فى زحمة العيش، والغريب أن سيدة التى اعتادت أن تؤجر جسدها لفترات قصيرة مقابل هدايا وبعض النقود القليلة تستمتع باحتكاك ضياء وتحرشه بها، فهو شاب جميل وصغير ورائحته زكية وملابسه نظيفة عكس

كل زبائنها، وهذا يثيرها إثارة كاملة، والتحرش له عندها لذة أخرى غير ممارسة الجنس الكامل، فهى عندما تلتقى بموسى تستمتع ولكن لضياء طعما وشوقا آخر.

أُذن للظهر فترك الشيخ صلاح كشك العيش ليتولى عم سيد الفران البيع وهو رجل سبعينى لا يرى على بعد متر أمامه، وما إن تولى إدارة الكشك وأخذ يبيع للناس حتى اندس بينهم ضياء فراحت سيدة تقتحم الزحام مولية وجهها شطر الحاج سيد الفران ومصدرة مؤخرتها لضياء الذى كان فى وضع الاستعداد.

– حاسب يا أخوى ماتزقش، الدنيا زحمة لوحدها.

قالتها سيدة لأحد المزاحمين لشراء العيش، فهى لا تقبل أن يتحرش به شخص آخر، الآن على الأقل، فعلى ضياء أن يركز ولا يقطع أحدهم حبل أفكاره.

وما إن أنهى ضياء مهمته وخرج، تكالب الآخرون فنهرتهم جميعا إلا ولد صغير لم يتجاوز الحادية عشر تركته يتحرش بها وهى تضحك قائلة لنفسها: حتى إنت يانونو؟!

لم يفك هذا الاشتباك إلا عودة الشيخ صلاح من صلاة الظهر قائلا فور تسلمه المهمة من عم سيد :

– عاوزة عيش بكام ياسيدة؟

عاد ضياء فوجد والده قد فتح المقلة فهى فى نفس البيت.

- جبت العيش ياضياء؟

- جبت يابابا، جبت.

قالها بصوت منخفض، فقد أنهى مهمته وحقق ما أراد بنجاح.

- أجيب لك الفطار هنا، ولا هتطلع تفطر فوق؟

- اعمل لى سندوتش، الله يصلح حالك ويهديك ويبعدك عن ولاد الحرام.

ارتبك ضياء عندما سمع دعاء أبيه فنظر إلى حجره - فوق الجلباب - ليرى إن كانت هناك آثار لما كان يفعل وقد لاحظها أبوه، فلم يجد، فتنهد والتقط أنفاسه قائلا لنفسه :

- أكيد يقصد موضوع أشرف قمبر.

ترك ضياء والده فى المقلة وصعد كى يغير ملابسه ليخرج لميدان الشجرة، فكل الرفاق سيلتقون بعد العصر بزعيمهم الجديد أشرف قمبر، أعطى ضياء لوالده السندوتش فتعجب والده، فضياء لم يأكل، غريبة، من يرى لهفته على شراء العيش الساخن يعتقد أنه سيلتهم خمسة أرغفة على الأقل، وهو لم يأكل لقمة واحدة، ولم يره أبوه أبدا يفطر كما يفطر شباب المنطقة كلها، فضياء لا يأكل إلا ليلا، وبشراهة.

وما إن بلغ ناصية الشارع حتى استوقفه عمه عزت قائلا :

- إزيك ياضياء، الحاج فى المقلة؟

- أيوه ياعمى.

فنظر إليه عزت بغيظ كأنه يريد أن يرد عليه سبته التى قذفه بها فى وجهه ولكنه لم يتكلم وتركه منطلقا إلى المقلة دون سلام.

- السلام عليكم يامحمد ياأخوى.

غضب أبوضياء ولم يرد عليه السلام وانفعل قائلا :

- قلت لك ميت مرة ياعزت بلاش الأسلوب دا معاى؟

- أسلوب إيه بس يا أخوى، دا انت أخوى الكبير ومالیش غيرك.

فتح أبو ضياء درج المكتب وأخرج منه عشرين جنيها أعطاها لعزت فأخذها شاكرًا متعجبًا من أخيه، فهو لم يفعل شيئا يغضبه ويجعله لا يرد عليه السلام، فقد ناداه باسمه محمد.

- هو إنت غيرت أسمك ولا إيه يامحمد؟! غريبة قوى إنك تزعل منى عشان باندهك باسمك.

- بص ياعزت، أنا أخوك الكبير وأنا اللى مربيك وفاهمك كويس، كويس قوى.

- أنا أبوضياء، اسمى أبوضياء وهافضل أبوضياء.

- بس دا حرام يامحمد ياأخوى.

- إيه اللى حرام فيه؟!

- إنت راجل قارى كتاب الله وعارف إن التبنى حرام.

- والحلال إنك انت وأولادك تاخدوا فلوسى ياعزت، هو دا الحلال من وجهة نظرك؟!

- ربنا يديك الصحة وطولة العمر يا أخوي، بس دا شرع ربنا، والتبنى حرام، وكفاية اللى حصل.

- اللى حصل دا شاذ مش طبيعى، دى ست مجنونة فى مخها، لكن فيه ستات كتير بيربوا الولاد بما يرضى الله، وبيعتبروهم ولادهم.

- انت لما جبت ولد غريب من الشارع، واتبنيته، مراتك حست إنه واحد غريب، وعملت معاه اللى كلنا عارفينه.

صمت أبو ضياء للحظات كأنه يتذكر ماحدث.

- بص ياعزت، دى ست مختلة عقليًا، ضياء ابنى كان عنده ساعتها تسع سنين مش شاب يعنى وأغراها، الملعونة، فيه ست تهيج على طفل عنده تسع سنين؟! وأهى اتطلقت واترمت فى الشارع.

نظر عزت لأخيه متأملًا ومنكرًا لموقفه الغريب: كيف يعطى كل شئ لشخص غريب عنه، ليس من دمه.

- قبل ماتقع فى الغلط يامحمد يا أخوى، اسأل الشيخ فى الجامع .

- أنا مش هاسأل حد، وأنا مش هيورثنى غير ابنى ضياء، هو اللى هياخد البيت والمقلة.

- حـرام عليـك، الـواد ممكـن يتجنـن لمايعـرف إن أمـه كانـت بتـمارس الجنـس معـاه وهـو صغـير، وإن أمـه مـش أمـه.

- ومين هيقول له؟

قالها محمـد محـذرا عـزت بنظـرة اتسـعت لهـا عينـاه حتـى مـلأت وجهـه.

- أكيد هو فاكر !!

- وتفرق إيه؟!

- لا تفـرق كتـير يامحمـد يـا أخـوي، لمـا يعـرف إنهـا سـت قـذرة وبتتحـرش بولـد غريـب عنهـا، غير لما يعرف إنهـا أمه، الـواد ممكن ينتحـر، حـرام عليك، إنـت كدا بتظلـم الكل، وبتخالـف شرع ربنا.

- سـيبك مـن النغمـة دى، ربنـا، وشرع ربنـا، أنـا فاهمـك كويـس ياعـزت، ضيـاء ابنـى معـاه بطاقـة رقـم قومـى تثبـت إنـه ابنـى، ونظـر إليـه مهـددًا، ولـو قلـت لـه أى حاجـة ياعـزت هتبقـى خسرتنـى للأبـد.

- ولو ماقلتلوش هاكسب إيه؟!

قالها عزت مساومًا .

فكـر أبـو ضيـاء، فوجـد أنـه لابـد أن يحمـى ابنـه بالتفـاوض مـع أخيـه عـزت، فهـو فى النهايـة أخـوه ويملـك بعـض الحـق فيـما يقـول، وضيـاء كل شـئ باسـمه.

- بس دا مايرضيش ربنا يامحمد.

- استنانى بس، أنا جاي لك فى الكلام أهو.

- إتفضل.

- البيت دا زى ما إنت شايف، تلات أدوار، المحل وشقة لضياء يتجوز فيها، وشقتى اللى احنا عايشين فيها ودى هاكتبها لك بيع وشرا؛ لأن الولد بيحجب العم زى ما انت عارف، وبكدا تبقى إنت مرضى، ولا إنت رأيك إيه؟

- الرأى رأيك يا أخوى، ربنا يطول لنا فى عمرك.

- والسر؟!

- السر فى بير ياحبيبى، وبينى وبينك ربنا، حتى لو حد قال له من بره أنا هانفى على طول الخط، الواد ابنك ومن ضهرك يا أبوضياء.

خرج عزت من المقلة سعيدا بالاتفاق رغم شكه فى أخيه محمد؛ فهو متردد، كلمه تحمله إلى الشرق وأخرى تسافر به إلى الغرب، ويمكنه أن يرجع عن هذا الاتفاق ويلغيه فى أى لحظة، فقرر أن يوثق الاتفاق.

- صباح الخير ياحاجة.

- صباح الفل ياحاج عزت، عامل إيه وإزى عيالك؟!

قالتها أديفا وهى تعطى عزت عشرين جنيها ولكنه رفض فى بادئ الأمر ثم رضخ أمام إصرارها.

- خد، ماتعملش فرق، إنت صاحب عيال.

- والله ياحاجة أنا ماأقبلش آخد فلوس من حد أبدًا.

- هو أنا غريبة، مش إحنا أخوات برضه.

- إنتِ ستنا وتاج راسنا وكبيرة الحتة دى وبتساعدى الصغير والكبير ومابترضيش بالظلم.

وأخذ يبكى...

- إهدى بس، مالك ياعزت، قول لى إيه اللى حصل؟

بينما كان عزت يحكى حكايته مع أخيه محمد أزأز لأديفا - التى تسمعه باهتمام؛ فمن واجبها أن تساعده فهو فى محنة، وهى كبيرة الشارع ودورها يحتم عليها ذلك - لمحه محمد أزأز داخلا الورشة وعندما طال بقاؤه فى الورشة لحق به.

- إيه اللى جابك هنا ياعزت؟!

ارتجف عزت عندما رأى أخاه فوق رأسه.

- كنت جاى أشوف لى أى شغلانة عند ستنا.

- برضه كدا ياأبوضياء؟! دى الأصول يااخوى، تتهجم على مكتبى كدا، من غير سلام ولا كلام؟!

- أنا آسف ياحاجة، بس البنى آدم ده اللى عاوز يورثنى بالحيا خلانى أقع فى الغلط، حقك علىّ ياستنا.

- ولا حق ولا حاجة، دا أنت أخوى يا أبوضياء.

قالتها أديفا ثم التفتت إلى عزت قائلة :

- بص ياعزت، الأب هو اللى يربى مش اللى يخلف، ياما ناس بيخلفوا عيال ويرموهم فى الشارع.

وصمتت كأنها تذكرت نفسها، فقد رمتها أمها فى الشارع أمام مقلب الزبالة، فى حى الظاهر، وهى لم تبلغ الأربعة شهور كما قيل لها، ثم التفتت إلى عزت بعدما كانت تنظر للسقف أثناء تذكرها الماضى الأليم.

- ضياء ابن أخوك، حبيبه، هو اللى مربيه، سبعتاشر سنة ضاعوا من عمره عليه، عاوزهم يروحوا هدر؟!

بكى عزت ومحمد، فأكملت أديفا :

- كل واحد من حقه يبقى له ذكرى فى الحياة، وضياء هو ذكرى أخوك ياعزت، هما الاتنين حاجة واحدة، لو بتحب محمد أخوك لازم تحب ضياء وتعتبره زى أولادك بالظبط، دا ابن أخوك ياأخى، راجل مابيخلفش واختار له ولد، رباه من شقاه وتعبه يبقى ابنه ولا مش ابنه .

- يسلم فمك ياستنا.

قالها أبوضياء فقالت له أديفا :

- ترضى بحكمى يا أبوضياء؟

- على رقبتى.

- بص ياعزت، الكلام اللى اتفقتوا عليه إنت وأخوك مش مظبوط ياحبيبى وهيعمل مشاكل، إزاى بعد عمر طويل تاخد الشقة اللى تحت ضياء، وتبقى ليل نهار قدامه فى البيت والمحل.

- ماهو ابن أخوى برضه.

- إنت دى الوقت رايق، لكن بعدين العلم عند الله.

فقاطعها أبوضياء.

- وحضرتك شايفة إيه؟

- بصوا ياجماعة، هى الشقة دى بتتأجر بكام؟

- أنهى شقة ياستنا؟

- الشقة اللى هتاخدها بعد عمر طويل ياعزت.

فرد أبوضياء قائلا :

- خمسين جنيه.

فقالت بحسم :

- حكمت على نفسك يا أبوضياء.

- مش فاهم حاجة.

قالها أبوضياء، فرد عليه عزت.

- ولا أنا.

- تدفع لأخوك مبلغ خمسين جنيه كل شهر من دى الوقت، وتكتب ورقة، وصية يعنى، بأن أخوك له حق، مبلغ يدفعه الوارث خمسين جنيه كل شهر.

صمت الاثنان، فإدراكهما لايصل إلى حلولها السحرية، ولكن أبا ضياء وافق فورًا لثقته فى أديفا، فهى سيدة محترمة وتحب الخير للناس.

أعطت أديفا لعزت الإقرار وتعهدت قائلة :

- كل أول شهر تيجى هنا، عندى، تاخد منى الخمسين جنيه، أوعى تروح لأبو ضياء المقلة تحرجوا، يمكن يكون معزور ومش معاه فلوس.

- ربنا يخليك لنا ياستنا.

قالها الاثنان معا، فنظرت لعزت قائلة :

- كل شهر هتاخد خمسين جنيه مش هيقطعها إلا الشيطان.

- الشيطان؟!

- أيوة ممكن الشيطان يوسوس لك فتحكى للواد الغلبان الحكاية وتعقده، هياخد هو ساعتها كل حاجة، وإنت هتخسر الشهرية.

- لا والله ما أقول له حاجة زى دى أبدا، هو أنا مجنون؟!

- طب لو عيل من عيالك طرطش بالكلام؟

- على رقبتى، أنا هاروح دى الوقت اتفق مع العيال وأمهم، وهما طبعا عاوزين المصلحة.

- والله إنتِ بميت راجل، وعليكِ مخ يوزن بلد، ربنا يخليكِ لينا ياستنا.

قالها محمد أزأز الذى كان يريد أن يقبل يديها وقدميها على مافعلته من أجله، فحياته كادت تنهار، وسره الذى احتفظ به طوال السبعة عشرة عاما كاد أن يصبح بركانا تأكل ناره كل شئ لولا هذه المرأة التى تعيش للناس وتهب وقتها كله لمساعدة جيرانها.

أشرف قمبر

أذن العصر فى شارع الغجر وهو مازال نائمًا، الكل ينتظر أشرف فى ميدان الشجرة؛ فقد أصبح زعيمًا على شباب المنطقة الذين تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والعشرين وقد أمرهم أمس قبل أن يغادرهم ألا يتأخر أحدهم، فالموعد غدًا فى ميدان الشجرة بعد العصر، وهاهى كل المساجد تؤذن وكل الناس يسمعون الآذان إلا أشرف، ينتظرونه ملتفين حول بعضهم فى الميدان الذى هو خال من أية أشجار، فأى شجرة تلك التى سمي الميدان والمنطقة باسمها، عندما سأل أشرف والده أكد له أن شجرة كبيرة كانت هنا تميز الميدان فسمى باسمها هو والمنطقة كلها، ولكن قطعها الفحامون وسرقوها وحرقوها فى مكمورتهم الكبيرة فى عمارة البواب فى أول طريق بشتيل، دون أن يتعرض لهم أحد، فقد كان حسيبة على علم وقبض منهم المعلوم.

وفى ميدان الشجرة عندما كان الناس يشربون ماء الطلمبة الحبشية التى يدقونها فى مدخل بيوتهم أدخلت الحكومة الماء النظيف الصالح للشرب، ولكن حنفية واحدة لكل الناس، أطلق عليها « العداد « يشرب منها الناس، ويأخذون الماء الى بيوتهم

بحمله على الرؤس فى أوان من الألومنيوم ولكى لاتؤلم الألومنيوم رؤوس النساء كانت تضع كل امراة قطعة كبيرة مبرومة من القماش يطلق عليها « حواية « فتأتى النساء - لتملأ الأوانى - من شارع بيومى مقبل وشارع حسين الشيخ وشارع عبدالفضيل عباس وشارع السد العالى وشارع القدس الشريف وشارع السكة والسوق ومابعده من شوارع، فاحتلت أم حسيبة المكان وفرضت قرش ضريبة على كل إناء من الماء تحمله النساء من العداد إلى المنازل، وكان وقتها حسيبة صغير السن، لم يتجاوز العاشرة من عمره، وكان يساعد أمه فى التحصيل فقط، ولكنها وحدها تضرب النساء اللاتى يرفضن الدفع ويتطاولن عليها فتتبع نفس الطريقة التى علمتها لحسيبة، تضرب امراة وتكشف سترها فتخاف الأخريات، خاصة بعدما تعلق أم حسيبة الملابس الداخلية للمرأة التى تطاولت عليها على ماسورة عالية فوق العداد فهى لاتكتفى بضربها، ولكنها تجردها من ملابسها الداخلية إمعانا فى الذل والإهانة، وبرغم قسوتها ألا أنها صرحت بأنها لن تضرب النساء المحترمات اللاتى يلتزمن بالأصول، وأكدت أن الماء مجانا للشرب، فمن أراد أن يشرب فليشرب كما يحلو له، على ألا يأخذ معه الماء، فإذا أراد أن يأخذ الماء إلى بيته فعليه أن يدفع، ومع أن أم حسيبة كانت تحصل على مائة جنيه من كل بيت يمد ماسورة مياه إلى بيته إلا أنها كانت حزينة، ليس على المال، فما تحصل عليه صار أكثر، ولكنها كانت تشعر بسطوتها وقوتها وهى تحصل على القرش الإتاوة الذى هو بمثابة خضوع من كل نساء المنطقة

لها، ويبدو أن هذا ما أمرضها بعدما رأت عذابًا لم يره إنسان قط، فكانت تشعر بنار فى بطنها عجز الأطباء عن تشخص أسبابها أو معرفة المرض، فلم تجد لها علاجا وماتت، ولم تجد من يدفنها أو حتى يصلى عليها، فقد كان حسيبة فى السجن، وكل الناس تكرهها، حتى شيخ الجامع، وظلت جثتها فى المشرحة تنتظر من يسأل عنها فلما زاد الانتظار، دفنت فى مدافن الصدقة.

- قم يا أشرف.
- هى الساعة كام دى الوقت ياريهام؟
- تيجي لها أربعة.

يصرخ أشرف فى وجهها:

- ياحمارة، مش قايل لك صحينى بدرى عندى شغل الساعة تلاتة العصر.
- هو تلاتة العصر بدرى يابنى؟! أكيد الهباب اللى انت بتستعطاه هو اللى بوظ مخك كدا.

يقفز أشرف، فى دقائق يغسل وجهه، ويغير ملابسه، وبمجرد خروجه من المنزل يدخل محل سيد هوندا لتأجير الموتوسيكلات ويأخذ المفتاح من فوق الرف وينطلق بالموتوسيكل دون أن يقول لسيد إلا كلمة واحدة: راجع لك..

وما إن وصل ميدان الشجرة حتى التف حوله أفراد عصابته الجديدة التى يعدها ليحتل بها موقع حسيبة الشاغر، فيحمى البائعين فى الشارع والسوق مقابل المال، ويحصل كمبيالات « شحاتة قسط » مقابل نسبة، فشحاتة يعلم تمام العلم أن كل من يشترى منه ثلاجة أو غسالة من سكان الشارع قسطا سيبيعها فى نفس اليوم وقد توصلها نفس السيارة، فهم يدفعون له مقدما بسيطا، مائة جنيه ويتسلمون منه تليفزيون أو ثلاجة يبيعونها بأقل من ثمنها لتاجر أخر ويحلون بذلك أزمتهم بهذا الحل المؤقت، ولكنهم يتعثرون فى دفع الأقساط، وعندما يرون حسيبة يحضرون القسط بأى شكل.

أشرف يريد فقط أربعة شباب من كل هؤلاء يملكون قلبًا ميتًا وطاعة عمياء، وأهم من ذلك كله أن يكونوا مؤمنين به، شاهدين على قوته وحسن تصرفه ومقتنعين به زعيمًا عليهم.

– لامؤاخذة ياشباب، كان معاى مشكلة مع جماعة فى السوق بس حلتها بعون الله.

قالها أشرف بطريقة توحى بأنه انتهى توًا من معركة كبيرة وعاد منها منتصرًا.

– ولا يهمك يا أشرف، إحنا بتوعك، مايجراش حاجة.

يربت أشرف على كتفه قائلا :

- كلك ذوق ورجولة يادوحة، أنت معاى، ومادام فيه أموال يبقى كل شئ حلال.

رقصت الفرحة فى عينى ممدوح النص فقد أصبح ذراعه اليمين، وبقى لأشرف أن يختار ثلاثة آخرين.

- بصوا يارجالة..

- أيوة ياعم أشرف.

- أنا كنت قلت لكم إنى النهارده بعد العصر هاختار منكم أربعة، بس بالأمانة، انتوا كلكم عشرة على عشرة، عشان كدا أنا اختارت ممدوح النص يكون بدالى لما أغيب فى حوار أو حبس أو أى حاجة.

فيرد أحد الشباب عليه :

- كلنا فداك يا أشرف وعمرنا مانسيبك تتحبس أبدًا.

ينظر له أشرف بفخر قائلا:

- جدع ياد، احنا العشرة هنشتغل كلنا، ومش هنكسر نفس حد..

ثم يلتفت لممدوح قائلا:

- كسف الطبيعة وحش برضه.

يهز ممدوح رأسه بالموافقة قائلا :

- عندك حق ياكبير.

- إحنا هنشتغل كلنا، واللى نلاقيه قلبه خفيف، هيمشى، وأى شغلانة أنا وممدوح هناخد النص والرجالة النص التانى، ماشى؟

الجميع فى صوت واحد :

- ماشى ياكبير.

يبتسم أشرف ثم يلتفت لممدوح هامسًا:

- النص بتاعنا أنا وانت، إنت الربع وأنا التلات اربع، ومدام فيه أموال يبقى كل شئ حلال، مرضى يابا؟

- أنا مرضى من غير أى حاجة، المهم إنت تكون راضى عنى ياكبير.

قالها ممدوح، فانتشى أشرف قمبر وركب الموتوسيكل وانطلق إلى شارع الغجر قائلا :

- بكرة هنا، فى نفس الميعاد.

ولم ينتظر سماع الرد.

دخل أشرف محل سيد هوندا بالموتوسيكل، ثم أعطى سيد المفتاح قائلا:

- يبقى لك جنيه يا أبوالسيد.

- عيب عليك، هو حد قال لك على فلوس يا أبونسب؟!

تغير وجه أشرف واستدار له بعدما كان قد أعطى له ظهره خارجًا من المحل:

- مش قلت لك تنسى الموضوع دا ياسيد؟!
- ليه بس، هو احنا مش قد المقام ولا إيه؟!
- أه طبعا مش قد المقام.

وينظر إليه نظرة تهديد ووعيد مكملًا كلامه :

- مش قد المقام خالص.
- ليه بقى ياقمبر، دا إحنا كلنا ولاد حتة واحدة؟!
- هى دكتورة وانت حمار، إزاى تيجى دى؟!

ونظر إليه بعد أن اتسعت عيناه إلى آخر اتساع لهما قائلا:

- بص لنفسك ياسيد، واعرف حدودك، بدال ماازعلك.
- حاضر حاضر.
- أيوة كدا، أحبك وانت عاقل.

يمر أشرف قمبر فى الشارع بمشيته الشهيرة التى يبدو أنه مدرب عليها، وقد خصصها للسير فى شارع الغجر.

- اتفضل ياعم أشرف.

- شكرا ياسلامة.

- ماتيجى تشرب معانا الشاى ياحبيبنا.

يقف أشرف أمام محل المكوجى سلامة بخة، دراى كلين.

- تعرف ياسلامة مش إنت مكوجى لامؤاخذة، مكوجى على قدك يعنى، بس والله أكرم واحد فى الحتة المعفنة دى، كل ماتشوفنى، تعالى ياعم أشرف أشرب شاى، تعالى ياعم أشرف نغديك، رجولة ياسلامة، هو انت منين ياسلامة؟

- من المنوفية.

- أجدع ناس، مش بقول لك؟!! كريم كريم يعنى.

- بص ياعم أشرف، من ساعة ما أمى ماتت وأنا واختى نورة عايشين فى البيت دا لوحدنا.

أشرف محدثا نفسه وهو ينظر لسلامة المكوجى.

- يخرب بيتك ياسلامة، أوعى تكون انت كمان عاوز تتجوز ريهام أختى، دا أنا لو قلت لها الكلام دا ممكن تضربنى بالشبشب، أه ياحتة معفنة.

- روحت فين ياعم أشرف؟

- لا أنا معاك، كنت بتقول...

فقاطعه:

- القول قولك وشقتى جاهزة.

- مش فاهم.

- الدكتورة ريهام أخت حضرتك، نتجوز يعنى..

- أهو إنت قلتها بعضمة لسانك، دكتورة، وإنت جاموسة.

يظهر الغضب على وجه سلامة فيقول له ساخرا :

- قصدى جاموسة طيبة يعنى، ماتزعلش ياسلامة، ما اهو إنت برضه بتستهبل، والى زيك لازم يتشتم، الصراحة، الدكتورة؟!!

وأعطى له ظهره وهو يقول :

- يا ابن العبيطة، الدكتورة؟!! الواد باين عليه اتجنن.

استمر أشرف فى السير فى شارع الغجر حتى وصل إلى تربيزة البنج بنج التى نصفها فى الشارع والنصف الآخر داخل نادى عاشور أستيكة للبلياردو والبنج بونج، وهو عبارة عن محل مساحته لاتزيد عن ثلاثين مترا، به تربيزة واحدة للبلياردوا و أخرى للبنج بنج نصفها داخل المحل ونصفها فى الشارع.

- إيه، مافيش حريفة؟

- فيه طبعا، إزيك ياعاشور، بالليل بقى.

قالها أشرف وهو ينظر من المدخل على البلياردو والبنج بونج فهو يجيدهما، وخاصة البلياردو .

يسير أشرف فى الشارع فيرى محمود العجلاتى واقفا أمام محله.

- أيوه ياحودة.

- إتفضل ياكبير.

- ماتشوف لى بيعة للعجلة بتاعتى المرمية فوق السطح دى ياحودة.

- تلاتين جنيه.

- ياحرامى، دا عبده الحرامى بتاع الروبابيكيا قال لى خمسين وكنت هاضربه.

- ما هو توبها كدا ياعم أشرف، أمال إنت عاوز تبعها بكام؟!

- مية، وورقة واحدة، صحيحة.

- موافق.

- ياراجل، غريبة دى.

- بصراحة أنا لى عندك طلب.

فنظر إليه أشرف ودار حوار بينه وبين نفسه « يكونش أنت كمان اتهبلت وهاتقول لى عاوز أتجوز ريهام، ثم نظر إليه كمن أفاق من حلم يقظة.

- خير يامحمود ياعجلاتى؟

- أنا عاوز أتجوز ريهام أختك.

– أضرب فرامل واركن على جنب، إنت يامعفن عاز تناسبنى؟!

قالها أشرف قمبر ويده اليسرى تمسك ياقة قميص محمود ويده اليمنى تكيل له اللكمات، فنزف الدم من أنفه، فصرخ يستغيث بالناس التى تجمعت فور سماعها صراخه سائلين أشرف:

– هو إيه اللى جرى، بتضربه ليه؟!

فاجابهم أشرف، وهو مازال يضربه:

– هو عارف وأنا عارف.

استطاع الناس إنقاذ محمود العجلاتى من يد أشرف قمر بعدما أوسعه ضربًا، وكانت كلمة السر التى قالها محمود فأنهت عذابه: «خلاص ياعم أشرف مش هاتكلم فى الموضوع ده تانى».

لمحت أديفا أشرف يتعارك من بعيد فهرولت، لكنه قابلها فى منتصف الطريق.

– إيه ياحبيبى، مع مين قول لى، هما مش عارفين إنت مين؟!

قالتها أديفا بتوتر ولهفة أم على ابنها.

– خلاص ياماما، دا عيل هفق، وانا اللى كنت باضربه، ما تتخضيش علىّ كدا.

– إزاى؟! دا مخربشك فى وشك بإيده اللى يستاهل قطعها.

– والنبى ياماما مافيش حاجة.

وأخذته إلى مكتبها فى الورشة.

أحضرت أديفا لأشرف مطهرا للجروح وقطنا كى تطهر له الخرابيش البسيطة والتى تراها هى وحدها تقريبا، وأحضرت له زجاجة مياة غازية وقالت :

- اشرب يا ابنى ياحبيبى، ألف سلامة عليك، والله كل ما باشوفك كأنى باشوف موشيه ابنى.

وتداركت الخطأ سريعا حتى أن أشرف لم يشعر:

- قصدى موسى، وهو صغير.

- وأنا والله ياماما باحس إن انت أحن من أمى الله يرحمها، دى كانت مطلعة عينى، كل ما تشوفنى تقول لى يافاشل ياساقط، وتضربنى.

- انت؟! دا انت زى الفل، عشان شقى شوية يعنى؟ طب ما هو كل الشباب بيبقوا كدا وهما صغيرين، وبعدين بيكبروا ويهدوا.

ينظر إليها أشرف وكأنه يتردد فى كلام يريد أن يتساقط من فوق طرف لسانه.

- مالك ياحبيبى؟!

- ماعلش، أنا شكلى وحش قدامك وعارف إن أنا مقصر.

- ليه كفى الله الشر؟

- عـدى أكثـر مـن أسـبوعين وماردتـش الفلـوس الـلى أخدتهـا منـك، لا القديمـة ولا الجديـدة، دا المبلـغ وصـل تلتميـت جنيـه، ودا مبلـغ كبـير.

تفتح أديفا الدرج وتخرج خمسين جنيه وتعطيها لأشرف قائلة :

- عيب عليك هو انت مش زى موسى برضه؟!
- ربنا يعلم أنا باعزك قد إيه، بس....
- بس إيه؟

قالتها مقاطعة، وهى تنظر إليه بحنان الأم:

- لما أرجع القديم، كدا كتير قوى.

وعينيه تسمرت فوق الخمسين جنيها.

- ولا قديـم ولا جديـد، مـش أنـا ماما ولا إيـه؟! ولا أنـت بتقولها مـن ورا قلبـك؟!
- لا والله، ربنا يعلم معزتك فى قلبى قد إيه ياماما.
- خـلاص، مصروفـك منـى كل أسـبوع خمسـين جنيـه لحـد مـا تشـتغل، أقـول لـك أبقـى اعزمنـى عـلى الغـدا فى بيتـك كل شـهر مـرة لمـا تتجـوز إن شـاء الله.
- كل شهر بس، قولى كل أسبوع، كل يوم، دا احنا أهل.

قالها وهو يأخذ الخمسين جنيها.

- وعشان نبقى أهل أنا لى طلب.

- أوعى تكونى إنت كمان عاوزة تتجوزى ريهام.

قالها وهو يضحك بصوت هستيرى لحصوله على الخمسين جنيها، وهذا اليوم الغريب الذى طلب فيه ثلاثة شبان من الشارع يد أخته ريهام فى نفس الوقت..

- أيوة عاوزة ريهام.

- أيوة إيه؟!!

قالها متعجبا وأكمل:

- عاوزة تتجوزى ريهام إنت كمان؟

انفجرت أديفا ضاحكة وقالت :

- عاوزاها لموسى ابنى.

- ياريت، دا موسى دا باشا وأجدع واحد فى المنطقة، دا راجل محترم وفى حاله.

- يعنى إنت موافق؟

- طبعا موافق، وابصم بالعشرة، دا كفاية عربيته التويوتا اللى بيركنها على الشارع، دا أمها داعية لها، ومادام فيه أموال يبقى كل شئ حلال.

وما تنساش إن هى دكتورة؟!

صمت أشرف للحظة كأنه يفكر ثم قال :

– مش دكتورة قوى يعنى.

تعجبت من رده، فسألته :

– يعنى إيه مش دكتورة قوى؟

– يعنى هى هاى نيرس.

ابتسمت أديفا وشعرت بالسعادة لأن الفارق قد أصبح لصالح موسى، وأنه قد يصبح عريسًا مناسبًا لريهام، وبذلك تتم مهمتها التى خططت لها بنجاح.

– أيوه دى أحسن من الدكتورة، يعنى خريجة كلية التمريض، أنا عارفاها، دى عندنا فى إسرا... فى فلسطين ليها احترام كبير قوى، وتقدير من كل الناس وكمان فى أوروبا، خاصة إنجلترا.

– بصى ياماما، أنا معاكِ، وأن شاء الله هتوافق.

– بص يا أشرف المطلوب منك.....

وتحولت وكأنها قائد عسكرى فى المخابرات يكلف العميل بمهمته بعدما تم تجنيده بنجاح..

– لازم ريهام تختار موسى.

– احنا ماعندناش الكلام دا.

– دى متعلمة، ولازم تختار، بص يا أشرف أخوك موسى جوة فى

الورشة، من ساعة ماجينا هنا وهو بيروح وبيجى لوحده، وبيخاف من خياله، خلى بالك منه.

– دا فى عينىَّ، ويخاف من مين وهو فى حمايتى؟!

لمعت عينا أشرف، ويبدو أنه بدأ مشروعه، وعليه أن يعتبر المبلغ الذى حصل عليه من أديفا مقدم اتعاب مقابل حماية ابنها موسى، وقريبا جدًا سيدفع له كل شخص فى الشارع يملك محلا أو يفرش فى السوق إتاوة كى يتمكن من ممارسة عمله كما كان يدفع لحسيبة بالضبط.

تترك أديفا أشرف فى المكتب وتذهب لتنادى موشيه قائلة:

– عن إذنك دقيقة واحدة، أنده لك أخوك موسى.

ثم عادت وموسى فى يدها.

وبمجرد مارآه أشرف سلم عليه بحرارة وقبله قائلا :

– إنت بتبعد عننا ليه يابا؟

– أبدا والله مشاغل الورشة والتحصيل.

– من هنا ورايح إنت أخوى وعاوزك تمشى فى الشارع واللى مايعجبكش إدى له على قفاه ولا يهمك من أى حد.

– شفت بقى ياموسى أشرف بيحبك قد إيه؟ من هنا ورايح هيكون معاك فى كل حتة، أشرف اشتغل معانا هنا فى الورشة.

نظر إليها أشرف وقال هامسا:

- شغل إيه ياماما هو أنا فاضى؟!

- أيــوه، هتشــتغل فى التحصيــل مــع موســى، تســلموا البضاعــة وتحصلــوا الفلــوس والأجــرة ميــت جنيــه فى الأســبوع.

- غير الخمسين؟!

قالهــا أشرف هامسًــا لأديفــا فهــزت رأســها بالموافقــة فقاطعــه موشــيه :

- عن إذنكم أدخل أكمل شغلى.

وتركهما ودخل الورشة.

- بــص يــا أشرف إحنــا عاوزيــن نعــزم موســى عــلى الغــدا عندكــم الجمعــة الجايــة.

- تشرفونا.

- طب قول لبابا ولريهام الأول.

- هــو إنــت ليــه مســتقلية بيّ كــدا؟! أنــا أشرف قمــبر عــم المنطقــة دى، اعتــبرى العروســة فى بيتــك، خلــص الــكلام، ومــدام فيــه أمــوال يبقــى كل شــئ حــلال.

ومــا إن تركهــا أشرف ذاهبا لينفــذ تعليماتها رأت أديفــا أن هذا الوقت هــو المناســب لتفاتــح موشــيه فى الموضــوع، فدخلــت عليــه باســمة.

- مبروك ياعريس.

- عريس إيه ياماما؟!

- أنا خطبت لك الدكتورة ريهام.

- وهى هتوافق؟!

- يعنى إنت عارفها؟

- طبعا باشوفها وهى رايحة الكلية.

أيه رأيك فيها؟

- قمر، بس أنا مش هااتجوزها، إنتِ نسيتِ! هو احنا جايين نستخبى ولا نتجوز؟!

- بص ياموشيه، إنت شاب وكنت متجوز ومحتاج لواحدة ست، إوعى تكون مفكر إن سيدة بتاعة الجبنة اللى فى السوق اللى بتجيلك مرتين فى الإسبوع بالليل فى الورشة ماعنديش علم بيها.

- والله ياماما.

- ماتحلفش أنا عارفة إنك شاب ومش هتقدر تعيش من غير واحدة ست وسيدة غلبانة بتربى يتامى، أهى بتريحك وبتاكل عيش.

- يعنى انت طول الفترة دى عارفة وساكتة؟!

- أيـوه ياموشـيه، ودى الوقـت ظهـر لنـا الحـل، عيلـة محترمـة ندخل فى قلبهـا ونعمـل جـذور جديـدة، زوجـة وخـال وجـد، إتجـوز ريهـام ياموشـيه وخلـف منهـا وبكـدا تكـون قتلـت المـاضى، وبـدأت صفحـة جديـدة لموسـى وكريمـة ونـودع موشـيه وأديفـا للأبـد.

ممدوح النص

لم يعرف أحد من رفاقه من أى شق خرج هذا الثعبان، يعشق الضلال ويساعد فى نصرته حتى لو لم ينل أى عائد من ورائه، تشى ملامحه بأنه على أبواب الأربعين مع أنه لم يتجاوز الخامسة والعشرين؛ فتعاطى المخدرات بكل أنواعها ترك أثره على صفحة وجهه المليئة بالرسومات الطبيعية والصناعية بفعل مطاوى أشقياء المنطقة، قصير القامة نحيف ليس قويا لكن قلبه ميت ويهزم أى شخص مهما كانت قوته؛ فهو يضرب بالمطواة فى الوجه فورا بدون تمهيد ولا تهديد ولا تفاهم، كل ما يملك فى الدنيا هذه الغرفة الكائنة على سطح منزل محمود العجلاتى الذى توقف عن المطالبة بإيجارها تجنبا للصدام مع ممدوح لأنه يتعارك معه ويفتك به لمجرد تلميحه أن الأجرة لم تدفع منذ عام تقريبا.

يستخدم ممدوح غرفته كوكر للرذائل، والغريب أنه غالبا لايستفيد ولكنه يشعر بالسعادة كأنه صاحب رسالة، فهو يطوف بكل شباب المنطقة معلنا أن لديه ذبيحة قد اصطادها بنفسه من أوتوبيس ١٧٣ والحفلة منعقدة حتى الصباح للجنس الجماعى أو لياخذ كل من رفاقه دوره على حدة، وهو لايعتبر نفسه قوادا

لأنه لايتقاضى مقابلا لهذه الجدعنة والكرم الذى يقدمه لرفاقه..

تنصب السهرات بصحبة الحشيش وصناديق البيرة، فقد وفر لكل أصحابه مكانًا آمنا لممارسة رذائلهم، كما أنه يعتبر مخزنا متنقلا لتجار البنجو المنتشرين فى الشارع، وكل مايستفيده هو مزاجه الذى يحصل عليه مجانا، قلبه الميت جعله لايرى أمامه؛ فكل الناس فى نظره ليس لهم ثمن إلا أديفا وهى وحدها التى يمكن أن يفتديها بروحه ويقتل من أجلها أى شخص.

لم يعرف ممدوح النص معنى الشهامة ولم يشعر بمعنى الأمومة ولم يفهمها إلا عندما سقط مغشيا عليه فى الشارع إثر تعاطيه كمية كبيرة من البنجو ولم يكن قد زال عنه أثر الترامادول الذى كان متعاطيه قبله، لم يجد أحدا جواره إلا أديفا التى أسرعت نحوه، نادت على موشيه الذى أحضر السيارة ونقله إلى المستشفى، وعندما أفاق فُتحت أذنه قبل عينيه لتستقبل كلماتها الرقيقة الحنونة، وظلت معه حتى إعادته إلى غرفته متكفلة بكل شئ.

– صباح الفل ياست الكل.

قالها ممدوح النص لأديفا ليبدأ طقوسه اليومية، فقد تعود أن يمر عليها أولا ليرى إن كانت تريد شيئا فيقدمه لها.

– صباح الخير يامدوح يابنى صحتك عاملة إيه دى الوقت؟

– زى الحديد تأمرينى بحاجة؟

- تعالى أما أقول لك، تشرب إيه؟

دخل ممدوح الورشة وجلس فى مكتب اديفا ليشرب الشاى

- شايفاك اليومين دول مع أشرف قمبر رايح جاى!
- لو مش عاوزانى أمشى معاه قولى لى.
- لا أبدًا دول ناس جدعان، بس مستغربة.
- أبدا ياست الناس دى سبوبة أكل عيش، الواد أشرف دا رجولة وبيقدرنى وانا باحب اللى يقدرنى.
- إزاى يامدوح؟
- بيعمل لى حساب، جانى البيت وقال لى نقف مع بعض فى موضوع الكارته فى السوق.
- إتاوة يعنى؟!
- أيوة، كان بياخدها حسيبة وهو دى الوقت فى السجن، حسيبة دا عيل طيب قوى بس ملطّشة معاه عاش فى السجن أكتر ما عاش برة.
- يعنى هتاخدوا فردة على الناس؟

قالتها وهى تنظر لجسمه النحيف الضعيف متعجبة فلاحظ ممدوح فقال لها:

- النـاس هنـا بتهابنـى وتعملهـا عـلى روحهـا لمـا تعـرف إنـى زعـلان لأنـى أنـا لمـا بازعـل ماباشـوفش قدامـى وفتحـة مطوتـى ليهـا وضعهـا واحترامهـا.

- خلى بالك من نفسك، ربنا يحميك ياحبيبى.

هـذا الشـعور الـذى ينتابـه عندمـا يـرى أديفـا التـى تخـاف عليـه وتحبـه كأبنهـا موشـيه يعطـى له طاقـة وأمـلا فى الحيـاة وسـعة فى الخيال و يتسـاءل دائـما: هـل كانـت أمـى تشـبه هـذه السـيدة العظيمـة؟

- صبح يانص.

- صباح الخير ياضياء.

- ماشفتش أشرف قمبر؟!

- أكيـد عنـد سـيد هونـدا أو عاشـور اسـتيكة بيلعـب بليـاردوا، أنـا جـاى معـاك.

لم ينتـه المـؤذن مـن أذان الظهـر إلا مـن عـشر دقائـق ومحـل سـيد هونـدا تفـوح منـه رائحـة البنجـو؛ فهـو يدخنـه كأنهـا سـيجارة عاديـة فدماغـه مصفحـة.

- صباح الخير ياهوندا.

- صباح الفل يانص، تصطبح معاى؟

- لا اصطبحت ياصاحبى.

فقاطعه ضياء قائلا :

– لف لى سيجارة ياهوندا، أنا لسة ما اصطبحتش.

– ماشى، سمعت إنكم عاملين فريق، وبتتجمعوا عند الشجرة، سبوبة حلوة دى.

– ماتيجى معانا، وأهى لقمة هنية تكفى مية.

قالها ممدوح النص.

– لا ياصاحبى أنا ماليش غير فى المكن.

دخل المحل شخصان فأعطى لهما سيد الموتوسيكل الهوندا الأحمر وأخذ منهما مائة جنيه، فنظر ضياء لسيد هوندا وظل يرسل له إشارات وإيماءات علّه يفهم، ولكن لاحياة لمن تنادى.

وما إن أخذ الشابان الموتوسيكل حتى اندفع ضياء إلى هوندا قائلا بسخرية :

– العيال دول بيبيعوا بنجو بالموتوسيكل يامعلم.

– طب ما أنا عارف.

– إزاى؟! دا الحكومة ممكن تحبسك إنت ياهوندا، مش الموتوسيكل باسمك.

– لأ طبعا، الموتوسكلين اللى حيلتى ماهمش ورق.

– ماشين كدا من غير رخصة؟!

- ولا رخصة ولا مبايعة، هو أنا عبيط؟!

- هما مأجرين كام يوم؟!

- ست ساعات.

- بميت جنيه؟! دا الساعة بخمسة جنيه، دول يأجروا بيهم تلات ايام.

قالها ضياء.

- مين هيأجر للأشكال الشمال دى؟

قالها ممدوح النص فأجابه سيد هوندا:

- مش هايبيعوا مخدرات وهيكسبوا، يبقى لازم يدفعوا وينوبنا من الحب جانب.

- ربنا يسترها علينا وعليك ياصاحبى، بس المكنة دى لورجعت إحمد ربنا ومتأجرش للعيال دى تانى، العيال دى مسجلة، وأوسخ عيال فى شارع الغجر، يمكن اتسمى شارع الغجر عشان هما ساكنين فيه.

بدا القلق يتسلل إلى قلب وعقل سيد هوندا فبدأ ينظر فى الساعة من الآن منتظرًا مرور الست ساعات ليطمئن على ماله، فهو لايملك إلا موتوسكلين أحدهما يحتاج إلى عمرة والآخر هو الذى ينفق عليه وعلى الورشة.

مرت سبع ساعات فلم يستطع سيد هوندا أن يفعل شيئًا إلا أن يأخذ حبوبه المخدرة كى تهدأ أعصابه فيرحل الألم والقلق.

أذن الفجر ولم يعد الموتوسيكل، فأخذ أشرف وذهبا معا إلى بيت المؤجرين ليستقبل الكارثة، فقد تم القبض عليهما فى كمين وبالتفتيش تم ضبط قطعة حشيش تقدر بنصف كيلو مقطعة ومعدة للبيع وسيعرضان على النيابة.

– ماتخافش ياهوندا، أنا عارف مين اللى هيحلها.

– مين يا أشرف؟

– أم موسى، دى ست واصلة لفوق قوى.

– إيدى على كتفك، أنا سمعت عنها كتير، وشفتها كتير، بس عمرى ما اتعاملت معاها.

اتصلت أديفا بالتليفون.

– ألف شكر ياافندم أنا آسفة إنى تعبت حضرتك، مع ألف سلامة سيادتك.

أخذت أديفا السيارة ومعها أشرف وهوندا متوجهة إلى قسم بولاق الدكرور، فوجدت رئيس المباحث فى استقبالها قائلا :

– دا أنا من ساعة ماجانى التليفون من الوزارة وأنا مستنى حضرتك.

فنظر أشرف إلى هوندا، وقال له هامسا :

- مش قلت لك واصلة، ومادام فيه أموال يبقى كل شئ حلال.

فابتسم هوندا واطمأن، فالموتوسيكل فى الحفظ والصون.

- أنا طبعا ما أعرفش الشاب اللى عندكم.

- دول اتنين يامدام.

- ماليش علاقة لامن قريب ولا من بعيد، أنا كل اللى يهمنى سيد هوندا، الراجل الغلبان دا، دا عنده محل لإيجار الموتوسيكلات وأجر لهم من غير مايعرف أى حاجة.

- فين عقد الإيجار ياسيد؟

قالها رئيس المباحث.

ارتبك سيد.

- أنا... أصلى..

فهمت أديفا وقالت لرئيس المباحث :

- نستأذن حضرتك، هاابعت لك العقد مع سيد، ومن فضلك سلم له الموتوسكل.

- حاضر يامدام تحت أمرك.

وما إن خرجت أديفا من مكتب رئيس المباحث حتى نهرت سيد قائلة :

- إزاى تأجر موتوسكل بدون عقد إيجار يحميك، إنت غبى؟! يعنى هما يعملوا مصيبة وتتحسب عليك إنت.

- أنا آسف يامدام، آخر مرة.

- تعالوا نقعد على القهوة دى ونفكر.

جلست أديفا على القهوة أمام القسم، ثم قامت فجأة ودخلت مكتبة بجوار القهوة، وخرجت، معها عقد إيجار.

- اسمك إيه؟!

- سيد هوندا.

- اللى فى البطاقة ياسيد.

- سيد إبراهيم محمود.

فكتبت الاسم.

- واسم واحد من العيال اللى جوه.

- وليد سمير الجمال.

فكتبت، ثم طلبت من أشرف أن يضع الحبر من القلم الخاف على أصبعه ثم قالت :

- تعال ابصم هنا يا أشرف.

فأطاعها دون تردد.

فأخذته وصعدت إلى رئيس المباحث قائلة :

– اتفضل يا افندم.

تسلم منها العقد، وقبل أن يقرأ مافيه نادى على البلوك أمين وطالبه بعمل محضر تحريات وأن يضع فيه العقد ويصدق عليه من النيابة غدا صباحًا كى يتسلم سيد الموتوسيكل.

– الحمدلله.

قالها سيد هوندا وهو يقبل يد أديفا.

★★★

اندهش صالح عندما سمع ماقاله أشرف، كيف لكريمة أن تكلم هذا الصايع فى أمر خطير يتعلق بمستقبل ابنتى الدكتورة ريهام؟! لماذا تفعل كريمة هذا التصرف الغريب؟! هل أنا والدها أم أشرف؟! لماذا لم تطلبها منى أنا، لقد وقعت فى خطأ كبير لابد أن تحاسب عليه..

– مساء الخير ياكريمة.

– مساء الفل، اتفضل اقعد ياصالح.

– لأ أنا مش هاقعد..

قالها غاضبًا، وصوته به خليط من الحزن والغضب، أردف قائلا

- هما كلمتين هاقولهم لك وتنى ماشى.

- خير، مالك؟!

قالتها مرتبكة ومتلهفة لمعرفة سبب غضبه وثورته.

- مبدئيا، أنا المكان دا مش هادخله تانى.

انتفضت كريمة واقفة.

- خير كفى الله الشر، مالك ياااخوي؟! حصل أيه؟! هو أنا أقدر على زعلك برضه؟!

ارتبك صالح أمام لهفتها، فقال محدثًا نفسه: «يبدو إننى عزيز عليها لدرجة كبيرة كنت أجهلها، وجلس، فقالت له :

- تشرب إيه ياسى صالح؟

فابتسم قائلا :

- مش هاقدر أشرب حاجة.

- لازم تشرب عشان خاطرى.

- خلاص، أى حاجة.

طلبت ليمون فأحضره الصبى.

- الحكاية إننا بنحبك ياصالح، أنا وابنى موسى من ساعة ماجينا هنا حبناك، واللى يحب حد يحب اللى منه، عشان كدا لازم أقف معاك.

- تقفى معاى؟! تقفى معاى فى إيه؟

- أشرف خلاص، ماقدرش ينجح فى التعليم، خلاص ينجح فى حاجة تانية، المهم أنه ينجح وتفرح بيه.

- ياريت ياكريمة، دى تبقى خدمة العمر.

- اعتبرنى أنا أمه، وسيبه لى.

- بس دا صعب عليكِ.

- أشرف هيشتغل معاى هنا بمرتب محترم مية وخمسين جنيه فى الأسبوع.

- ياريت، دا مش هاياخدهم لما ياخد الدبلوم.

- سيبك من موضوع الدبلوم دا، ييجى على مهله، وأهو كدا كدا هينجحوه، المهم الشغل.

- الله يخليكِ ياكريمة، وأنا إن شاء الله هاحط موسى وأم موسى فى عينيَّ.

- تتجوزينى ياكريمة؟

ابتسمت وقالت :

- لما اتطمن على ابنى الأول هارد عليك ياسى صالح.

★★★

فتح أشرف قمبر كل الشوارع التى كانت مغلقة أمام موشيه الذى يخاف من ظله، فقرر ألا يمشى فى الشمس، أخذه معه رغم فارق السن إلى كل الأماكن، وحل عقدة لسانه، فشعر موشيه أن أيامه فى إسرائيل قد عادت، وقد حل أشرف قمبر مكان جاكوب صديقه الحبيب، ولكن الفرق هنا أن موشيه هو الذى يغلب كل الشباب فى شارع الغجر بما فيهم أشرف فى البلياردو الذى تحول إلى صالة قمار بفضلهما، فهما أول من راهن وموشيه أول من كسب - فى نادى عاشور استيكة للبلياردو، وذاع صيت موشيه فى شارع الغجر، وتعصب له سكان الشارع وراهنوا عليه، فبدأ لاعبو البلياردو يأتون من الشوارع الأخرى، والمناطق البعيدة لملاقاته، وفتح استيكة باب المراهنات، وبمجرد أن ينتهى موشيه من هزيمة منافسيه يأخذ أشرف إلى الورشة الخالية كى يكملا السهرة.

- أما أنا جايب لك النهاردة حشيش له العجب، هتعمل به دماغ نووية، حشيش مغربى.

قالها أشرف لموشيه، فصرخ موشيه فى وجهه صرخة هستيرية:

- بلاش، ابعدنى عن المغربى، احنا هنعيده تانى؟!هو احنا جابنا هنا غير المغربى؟!

وهو يضحك، فيضحك أشرف، مع إنه يجهل السبب.

- صب لى كاس، وبلاش حشيش خالص.

- ياراجل، هو فيه أحسن من السيجارتين؟!

قالها أشرف كأنه صاحب رسالة ويرشده إلى الطريق القويم.

- خلاص، هات سيجارة، بس خلينا فى الأفغانى، فى المصرى، أرجوك ابعدنى عن المغربى خالص.

- حاضر.

قالها أشرف، وحدث نفسه ربما يكون الحشيش المغربى قوى وموسى لا يتحمله.

استطاع صالح وأشرف أن يقنعا ريهام بالخطوبة لمدة سنة، كى تستطيع أن تلتقى بموسى وتعرفه جيدًا ثم تتخذ القرار: إما أن تكمل بالزواج أو تنهى كل شئ.

- بصى يابنتى أنا زى أمك تمام، وحبيتك، عشان كدا اختارتك لموسى ابنى اللى طلعت بيه من الدنيا وعمرى ما هأجوزه إلا لوحده بتحبه، وبتتمنى رضاه عشان اتطمن إنه هيعيش فى سعادة، حاولى تقربى منه وتفهميه خلال السنة اللى هى فترة الخطوبة لوحبيتوا بعض اتجوزوا على بركة الله، لو ماحصلش يادار مادخلك شر، واحنا حبايب وجيران زى ما احنا، وموسى ياحبيبتى لو مابقاش جوزك هيبقى أخوكِ طول العمر.

★★★

انطلق موشيه فى شارع الغجر بعدما تمتع بحماية أشرف قمبر نسيبه وأصبح واحدًا منهم، يسهر مع الشباب كل ليلة فى صاله البلياردو.

– مساء الخير ياعاشور.

– مساء الفل، الباشمهندس موسى؟! انا مش مصدق نفسى.

– ليه بقى؟!

– أول مرة تيجى لوحدك من غير قمبر، إنت عارف لما جيت هنا مع أشرف أول مرة، كنت أول مرة أسمع صوتك، مع إنك معانا هنا فى الشارع من أكتر من خمس سنين .

– وأيه رأيك فى صوتى، حلو؟

قالها موشيه ساخرًا، وبه ثقة عالية فى نفسه فقد زال عنه الخوف تمامًا.

– وبتعرف تنكت كمان يا باشمهندس موسى، أنا عاوز أعرف إنت اتعلمت البلياردو فين؟

– فى إسرائيل.

ضحك عاشور استيكة قائلا :

– أهى دى نكتة حلوة.

– إيه رأيك؟ وأغلب أى حد عندكم فى البلياردو.

دخل أشرف داعما لموسى.

- فيه حاجة ياموسى.
- ماتقول سلام عليكم الأول.

قالها عاشور.

- سلام عليكم ياعم، أوعى حد يزعَّل موسى، دا أخوي ومديرى فى الشغل، اللى هيزعله يقول على نفسه يارحمن يارحيم.

يسمع موسى كلام أشرف فيسعد ويطمئن محدثا نفسه :

«والله عندك حق يا أديفا، إيه المخ الجبار ده؟! النسب دا صحيح هيخلينا من أهل الحتة، لازم أخلى ريهام تحبنى وماتستغناش عنى أبدا».

حسيبة

سيطر أشرف قمبر على السوق، فقد تعلم من أديفا الكثير، فلم يستخدم العنف ولكن بالسياسة، فقد أوهم كل البائعين أن مايدفعونه له ما هو إلا أجرة للرجال الذين يحمونهم ويمنعون الأغراب المتربصين من اقتحام السوق والاستيلاء على أماكنهم، كما أعفى كل السيدات، خاصة المتقدمات فى السن معلنًا للجميع، ألا يدفع أى شخص له المال بغير رضا، وأقسم لهم أنه إذا شعر فى يوم من الأيام أنهم لايريدونه سيرحل على الفور دون قيد أو شرط، فتمسك به الجميع.

فى قهوة السنى التى تحتل ناصية السوق مع عمارة البواب يجلس أشرف مع رجاله بعد عمل استمر اليوم كله.

- تشرب إيه ياعم أشرف؟
- هات لى أنا شاى وشيشة سلوم، وهات للرجالة اللى يطلبوه، وكله على حسابى.
- تعيش ياكبير.

قالها الشباب الذين يعملون معه.

ذهب القهوجى ليحضر الطلبات فعاد أشرف يتحدث إلى رفاقه بينما حسيبة يقتحم القهوة قائلا:

– قم ياد.

وهو يمسك أشرف من ياقة قميصة فارتجف أشرف قائلا :

– انت مين؟!

– أنا عمك حسيبة.

وهو يضربه بالبوكس، فأمسك أشرف الطقطوقة التى يوضع عليها الشاى ونزل بها على رأسه فوقع فاقدا الوعى، التف الناس حوله يحاولون إسعافه رغم بغضهم له ودعائهم لأشرف واستحسانهم مافعله، هتفت روحهم لأشرف الذى انتقم من هذا الوغد الذى طالما ظلمهم.

– تسلم إيدك، دا مفترى، وربنا بعتك عشان تربيه.

انتصر اليوم أشرف، وصار الكبير رسميًا من هذه اللحظة، فلحظة هزيمته لحسيبة هى لحظة تتويجه كبيرًا للسوق ولشارع الغجر.

– أنا فين؟!

– انت عندى فى الورشة يا حسيبة ياابنى.

– وانتِ مين؟

قالها حسيبة، وهو يحاول أن يرفع رأسه ليرى من صاحبة الصوت الذى يحمل كل هذه المودة وكل هذا العطف تجاهه.

- أنا خالتك كريمة صاحبة العمارة والورشة دى.

- أمال فين الحاج سرور صاحب البيت والورشة؟!

- ياه، دول سبع سنين ياابنى، ناس عاشت وناس ماتت، عمك سرور مشى، وأنا اشترت البيت منه.

- طب وفين حقى؟

- حقك فى إيه ياحسيبة؟! خليك فى اللى انت فيه، دا انت سايح دمك.

- كان لىّ عند سرور متين جنيه من سبع سنين، ومادام إنت اشتريتِ البيت منه يبقى لازم تدفعيهم لى.

فنهره أحد سكان الشارع قائلا:

- بدال ما تشكر الحاجة، دا لولاها كنت فضلت تنزف لحد ما مت واستريحنا منك.

فقال أشرف وهو ينظر له مهددًا :

- هتتعدل ولا أكمل عليك؟

- خلاص ياعم أشرف.

قالها حسيبة مسلمًا بالوضع الجديد، فقد مرت سبع سنوات، حدث فيها تغيرات كثيرة، ولابد له أن يواكب الظروف الجديدة.

نظر أشرف لكل الناس التى تجمعت فى الورشة حول حسيبة وقال:

– كل واحد يروح لحاله.

فانصرف الجميع، ولم يبق إلا أشرف وحسيبة وأديفا التى استطاعت أن تجنده ليصير مساعدًا لأشرف، ويكون الجميع فى خدمتها هى وولدها موشيه.

★★★

بدأ موشيه يخطط لمشروع عمره الذى أكدت له أديفا أن نجاحه فيه سيصل بهما إلى بر الأمان .

– ألوه مساء الخير ياريهام، عاملة إيه؟

– بخير، انت عامل إيه ياموسى؟

– أنا صاحى النهاردة وحاسس إنى لازم اشكر ربنا واعترف بفضله علىّ لأنك وافقت على الخطوبة.

– للدرجة دى؟!

– أيوه ياريهام، انت ماتعرفيش أنا باحبك من إمتى، وقد إيه، من ساعة ماجينا هنا، كل ما أسمع غنوة عن الحب أحس إنى أنا باغنيها لك.

فاجأها موشيه، فهى لم تتوقع أن يكون زواجها عن قصة حب حتى لو من طرف واحد، فهى كانت تحلم ولكن العرف والدين يمنعانها كما علمها والدها، فقالت وهى تطير من السعادة:

- أيه دا كله؟! إيه دا كله، بجد الكلام دا من قلبك ياموسى؟

- طبعا من قلبي ياروح قلبى، أنا طول عمرى راجل دوغرى أحب أدخل البيت من بابه، وإيه اللى يخلينى أخطبك إلا الحب، وإنى حسيت إنى مش قادر أعيش من غيرك ولا لحظة واحدة.

بدأت ريهام تصاب بدوار، فهى لم تسمع أبدا مثل هذا الكلام، ولم تعط الفرصة أصلا لأى شاب أن يتكلم.

- كأنك بتتكلم علىّ ياموسى، أنا برضه كدا، الحب عندى يبدأ بعد الجواز و...

فقاطعها:

- خليها من بعد الخطوبة.

فضحكت وقالت :

- ماشى نخليها بعد الخطوبة.

- بصى ياحبيبتى لى عندك طلب.

- إيه ياحبيبتى دى؟!

قالتها وكأنها معترضة، ولكن نبرة صوتها كلها سعادة ورضا.

- مش انتِ هتبقى مراتى وأم أولادى؟! أمال أحب مين لو ماحبتكيش انتِ؟!

- انت طلعت خطير، ياما تحت السواهى دواهى، خطير قوى وعامل نفسك طيب ياسهن، طب قول لى طلبك إيه، ولو أقدر أعمله مش هاتأخر.

- نفسى اشترى لك فستان الفرح.

زغرد الفرح فى عينيها، فأحمرت وجنتاها، وقالت:

- بس دا مش بدرى ياموسى؟!

- بدرى من عمرك، احنا هنخرج بعربيتنا، على فكرة العربية التويوتا دى مع إنها جديدة لكن دايما التجار يقولوا لى دى عربية حريمى.

- أيوه أنا شفتها، تحفة، وكان نفسى طول عمرى يبقى عندى عربية زيها بالظبط.

- بصراحة، هى جاية على اسمك.

- إزاى بقى، هو انت كنت تعرفنى لما اشترتها؟

- طبعا دا انا شاريها السنة دى، وعينى عليك من اكتر من خمس سنين ياحبيبتى، ومدام طلعت حريمى، تبقى شبكتك ياعروسة، ألف مبروك.

كاد قلب ريهام أن يتوقف من السعادة.

- انت طيب جدا وكريم قوى ياموسى، ربنا استجاب لدعاى، كنت دايما بادعى ربنا يرزقنى براجل زيك، ربنا يقدرنى إنى أسعدك وأبقى دايما حلوة فى عينك.

- لو عاوزة تسعدينى صحيح، تعالى نشترى الفستان وندخل الشهر اللى جاى، خير ربنا كتير، وأنا بصراحة مش قادر أعيش بعيد عنك.

تشعر ريهام أنها فى حلم جميل، فكل شئ قد تحقق فى أيام معدودات، فهى التى كانت طوال السنوات الفائتة تعتقد أن أديفا تتقرب لها من أجل أن تتزوج أباها الأرمل، عرفت اليوم أن موشيه كان يحبها وأمه كانت تتقرب من أجلها هى، وليس من أجل أبيها.

- هاقول لبابا لما ييجى، وننزل على طول.

- أشرف معاى أهو، وهناخده معانا، إيه رأيك، أكيد عمى مش هيمانع أبدًا مدام أشرف معانا، ومش هنروح لوحدنا.

- عندك حق.

ركب أشرف جوار موشيه، وما إن خرجوا بالسيارة من المنطقة، توقف موشيه وكأنه ينفذ اتفاقا مبرما بينه وبين أشرف، نزل أشرف وجلست ريهام جوار موشيه العريس فهى العروس وهذا هو مكانها الطبيعى.

انبهرت ريهام بالسيارة، وراحت بعينيها تطوف فى أرجائها فقطع موشيه رحلتها الفاحصة قائلا:

- عجبتك؟

- قوى.

فنظر إلى أشرف الذى يجلس خلفه قائلا :

- بكرة الصبح عاوزين نروح الشهر العقارى عشان نسجل العربية باسم العروسة.

فصرخت:

- ربنا يخليك ياحبيبى.

فاعترض أشرف رغم سعادته البالغة قائلا :

- اتلمى ياريهام.

فأجابته.

- فيها إيه مش خطيبى، وهيبقى جوزى؟!

طاف بها محلات الملابس الكبرى فى وسط البلد، وكلما دخل محلا قال له موشيه :

- عاوزين أحلى وأغلى حاجة عندك.

فتنظر إليه بإكبار وتقدير، وتختار هى أقل الأسعار كأنها تكافئه على كرمه بالتوفير له، اشترت الفستان وكل مستلزمات العروس فى زفافها، وفرحت به وباتت أحرص منه على إتمام الزيجة التى كانت تحلم بها، فتم لها وله ما حلما به بعد أن اشترى لها شقة كبيرة فى مدينة الأمل القريبة من ميدان الشجرة، حيث الشوارع الواسعة والمنطقة الراقية، وكان الاختيار موافقا رغبتيهما، فكل منهما لايستطيع أن يسكن بعيدًا عن شارع الغجر، ففيه أمه والورشة، وهى لن تستطيع أن تعيش بعيدًا عن أبيها.

مصرى

لم تمر إلا تسعة أشهر من ليلة الدخلة إلا وأهدت بعدها ريهام المجتهدة لزوجها وصارت تعشقه عشقًا لايوصف وتحبه حبًا لم تتصور أنه كان بداخلها، ويمكن أن تمنحه لأى رجل - ابنه الأول ورأت أن تسمى ابنها صالحًا، بينما رأى موشيه أن يسميه إبراهيم، ولكن أديفا صممت أن يكون هذا الولد اسمه مصرى، وعند استخراج شهادة الميلاد أصرت أديفا أن تُضيف الألف واللام للاسم فصار اسم حفيدها المصرى موسى إبراهيم.

رغم سعادتها وهنائها كانت ريهام حزينة لأن موشيه لايصلى أبدًا ولا حتى العيد مثل أخيها أشرف، كما أنه غريب الأطوار فهو لايشاهد مباريات كرة القدم المصرية أبدًا ولا يشجع الأهلى مثل والدها أو الزمالك مثل أخيها أشرف ويشرب الخمر فى البيت ولايعرف أصلا أنها حرام، ودائما يأتى بالمحطات الإسرائيلية على الدش، فكانت تتسحب ليلا لتراه وهو يشاهد الدش اعتقادا منها أنه يرى أفلامًا إباحية ولكنها صدمت بأنه يشاهد أفلام وبرامج باللغة العبرية، وعندما قام بترتيب قنوات الدش وضع القنوات الإسرائيلية فى أول الترتيب، فبدأت تشتكى لأديفا.

- بصى يابنتى، جوزك دا لو لفيتِ الدنيا دى كلها عمرك ماتلاقى حد زيه.

- والله عارفة ياماما، ودا اللى محيرنى، دا أنا والعياذ بالله ساعات باشك إنه كافر، على غير الملة.

تصعق أديفا قائلة :

- ياساتر يارب، أستغفر الله العظيم، إيه اللى بيخليكى تقولى كدا يابنتى، دا ابنى مسلم وموحد الله.

- بصى ياماما، احنا اتعودنا فى بيتنا كل يوم جمعة نشغل سورة الكهف فى الكاست أو على إذاعة القرآن الكريم، أو بابا يقراها من المصحف، وبيبقى يوم الجمعة دا زى العيد، بابا بيستحمى ويلبس الجلابية البيضا المكوية، ويحط ريحة جميلة، حاولت اخليه يعمل كدا مارضيش، ولا حتى لبس الجلابية البيضا، ولما ضغطت عليه وقلت له لازم تصلى عشان البركة تحل على البيت وربنا يسترها معانا كان بيهاودنى وينزل قدامى، ويعمل نفسه رايح يصلى عشان يريحنى، وأعرف بالصدفة إنه بيقعد على القهوة لغاية الصلا ماتخلص.

احتارت أديفا، فكل شئ خططت له ببراعة، ولكن كيف نسيت هذه المشكلة، فريهام المتدينة لن تقبل زوجًا لايعرف أى شئ عن دينه.

- بصى ياحبيبتى، انتِ لازم تعرفى إن جوزك متدين، ويعرف ربنا أكتر من كل الشيوخ اللى انت شايفاهم دول.

تتعجب ريهام، فتنظر لأديفا وتقول :

- إزاى بس ياماما؟! دا مابيمسكش المصحف ولا بيصلى ركعة.
- بس هو عند ربنا أكبر من كل الناس اللى فى الجوامع.
- مش فاهمة أى حاجة، أرجوكِ وضحى ياماما تقصدى إيه؟!
- طبعا موسى حكى لك إن عمك إبراهيم كان يهودى من يهود إسكندرية الأغنيا قوى.

تصدم ريهام، ويتملك قلبها ضيق ولاتستطع أن تتمالك توازنها.

- لأ، ماقاليش حاجة.
- كان عمك إبراهيم بيحبنى وعاوز يتجوزنى، لكن بابا رفض لأنه يهودى، ولما لقانى متمسكة بيه قال خلاص يعلن إسلامه الأول.
- وعم إبراهيم عمل إيه؟
- أسلم طبعا، وكتبنا الكتاب فى الأزهر، ولما الرئيس جمال عبدالناصر قرر يحارب اليهود فى إسرائيل اعتبر كل اليهود المصريين جواسيس للعدو الإسرائيلى، مع إن عمك ابراهيم مسلم وحتى لما كان يهودى كان بيحب مصر أكتر من عينه،

لكـن اعتـبروا دخولـه الإسـلام منـاورة عشـان يفضـل هنـا جنـب أملاكـه.

- وإيه اللى حصل بعد كدا؟

- اضطرينا نهاجر مع عيلة عمك إبراهيم مزراحى.

- هاجرتوا فين؟

قالتهـا ريهـام وهـى فى حالـة إثـارة وتشـوق، فالحكايـة غامضـة ومثـيرة.

- إسرائيل.

- يانهار أسود.

قالتهـا ريهـام بصـوت يشـبه الـصراخ، فحاولـت أديفا أن تسـاعدها عـلى اسـتيعاب الصدمـة قائلة :

- تـم تهجـير عائلـة مزراحـى كلهـا بـما فيهـا حمـاكِ وأنـا وموسـى مـع إننـا مسـلمين .

- أيوة عيلة مزراحى، أنا سمعت الاسم دا قبل كدا.

- دى عيلة كبيرة جدًا.

- وعمى إبراهيم عمل إيه؟!

- مـا قـدرش يثبـت لهـم إنـه مـصرى مسـلم ومراتـه مسـلمة وابنـه مسـلم.

- أيـوه، أيـوه، اعتبروهـا تمثيليـة عمـو عملهـا عشـان مايخرجـش مـن مـصر.

- بالظبـط ياريهـام، وسـيبنا أملاكنـا الـلى تتقـدر النهـاردا بميـت مليـون.

- ميت مليون جنيه !!

قالتها ريهام وهى ذاهلة.

- ميـت مليـون دولار ياريهـام يابنتـى، سـبع فـلات، واتنـاشر محـل، وأربـع عـمارات كلهـا فى إسـكندرية.

ونظرت في عينيها كما يفعل المنوم المغناطيسى ثم أكملت:

- جـوزك حفيـد مزراحـى الوحيـد، وهـو الـلى باقـى مـن العيلـة، ضحـى بـكل شـئ وفضـل عـلى إسـلامه.

- دى حكاية ليها العجب، وبعدين ياماما.

- روحنـا إسرائيـل بـس ماعشـناش مـع اليهـود، عشـنا مع المسـلمين فى فلسـطين، ولمـا عـم موشـيه الكبير..

- مين موشيه؟!

- قصـدى موسـى، همـا هنـاك كانـوا مسـمينه موشـيه رغـم إنـه مسـلم، سـبحان الله، لمـا عمـه مـات مارضيـوش يـدوا لموسـى حقـه فى المـيراث إلا لـو سـاب الإسـلام وبقـى يهـودى.

- وموسى عمل إيه؟

- اتمسك بدينه طبعا، وضحى بفلوسه اللى هى ميراثه ومن حقه.

- فعلا دا إنسان عظيم وعنده مبدأ ضحى مرتين بفلوس كتير قوى .

- خلى جوزك جوة عينك ياحبيبتى، وإوعى تدخلى الشيطان بينكم.

- حاضر ياماما، حاضر.

- عن إذنك هاطلع اتطمن على بابا وأشرف.

- اتفضلى يا أم مصرى.

استطاعت أديفا أن تقلب كل الحقائق وتجند ريهام لتكون جزءًا من مشروع الهروب الكبير الذى تنفذه للحفاظ على حرية ابنها موشيه الذى ينتظره السجن مدى الحياة فى إسرائيل.

صعق موسى عندما عرف مادار بين أمه وريهام.

- إزاى تقولي لها كل حاجة ياماما؟!

- اخرس ماتفتحش بقك، أنا عارفة أنا باعمل إيه، خد إقرا دى.

- أيه دى؟!

- الفاتحة، احفظها وسورة الناس، قدامك النهاردة بس، لازم تصلى الجمعة انت وهى فى الجامع.
- بس ياماما.
- من غير بس، اللى أقوله لازم يتسمع.
- حاضر، حاضر.

العصابة

بـدأ حسـيبة يظهـر مـرة أخـرى فى شـارع الغجـر، يحـاول دون جـدوى أن يهـرب مـن هزيمتـه وعـاره القديـم الـذى ألحقـه بـه رئيـس المباحـث فقـد أنطقـه فى قلـب السـوق قائـلا: أنـا مـره – بعدما أوسـعه ضربًـا وفضحـه عـلى رؤوس الأشـهاد، ولم يكتـف بهـذا بـل نـادى فى النـاس أن هـذا التافـه مـن أراد منكـم أن يضربـه فليـأت فـورًا فقفـاه مسـتعد أن يسـتقبل أيـادى كل سـكان شـارع الغجـر، ومـا إن خـرج وحـاول أن يفـرد عـوده المحنـى حتـى كـسره أشرف قمـبر، الشـاب الـذى تفـوق عليـه وضربـه أمـام النـاس وهزمـه، فلـم يجـد مفـرًا مـن أن يلعـب دور الرجـل الثانـى كـما يفعـل نجـوم الشـباك فى السـنيما عندمـا يكـبرون ويرحـل عنهـم الجـمال والشـباب، فـلا يجـدون حرجًـا فى أن يلعبـوا الأدوار الثانويـة، وحسـيبة دوره ليـس ثانويًـا ولكـن لم يعـد الأول ولا الثانـى فـأشرف قمـبر مـازال يعلـن عـلى أفـراد عصابتـه أن مـن ينوبـه أثنـاء غيابـه هـو ممـدوح النـص وليـس حسـيبة.

كان حسـيبة يوقـن أن القـوة التـى يتحـرك بهـا أشرف قمـبر مبعثهـا دعـم كريمـة اللامحـدود، وعليـه أن يتقـرب منهـا كخـط جديـد مـواز لأشرف، فهـو لـن يسـتطيع أن يزيحـه مـن طريقـه؛ فالعلاقـة متشـعبة

والنسب والمودة التى تربط العائلتين لن يقوى على مجابهتها، فرسم طريقا آخر.

- بصى ياستنا، ربنا يعلم أنا باحب أشرف قد إيه، بس لازم تعرفى إنه لسه عوده أخضر، ووقت الجد مش هتلاقى حد جانبك غير حسيبة.

- مش فاهمة قصدك، خير ياحسيبة، فسر لى كلامك.

قالتها أديفا التى تعجبت من اقتحام حسيبة عليها المكتب دون أن تطلبه.

- قصدى ياستنا، إن أشرف واللى معاه مافيهمش ولا واحد اتحبس ليلة، أو اتعرض لى احنا اتعرضنا له، ولا يعرف هو ولا النص ولا ضياء ابن بتاع اللب يشيلوا رشاش ولا أر بي جيه، ولا حتى مسدس عادى تسعة حلوان بتاع أمناء الشرطة.

انتبهت أديفا لكلامه وقالت متعجبة :

- ليه هو احنا هنحارب؟!

- انتوا أصحاب مال، ولازم تقدروا تدافعوا عن نفسكم.

- سلاح ردع يعنى.

- نعم ؟!

قالها حسيبة الذى لايفهم معنى الكلمة.

- عندك حق ياحسيبة، والمطلوب؟!

- أنا هاجهز لك كتيبة على حق، مسلحة برشاشات آلى، عشان لو واحد مفترى حب يحط عليكِ، نقدر ندافع بقوة.

- والله كلام معقول ياحسيبة، موافقة، بس بشرط، الموضوع دا يبقى سر بينى وبينك، وماحدش ياخد بيه خبر أبدًا حتى موسى ابنى.

- دا نفس طلبى اللى كنت عاوز أطلبه منك ياستنا، الرجالة والسلاح هيكونوا تحت أمرك جاهزين، ومافيش حد هيتحرك إلا بإشارة منك.

- وأنا تحت أمرك فى كل المصاريف، اتفق مع الرجالة، وخليك جنب أشرف عادى لاحسن يحس بحاجة.

- حاضر يامدام.

***

استيقظ موشيه الساعة العاشرة من صباح الجمعة، وحضَّر الإفطار لريهام وأتى به إلى غرفة النوم قائلا، وهو يهنن فيها ويحايلها:

- قومى بقه ياروحى افطرى عشان نستعد لصلاة الجمعة، لسه هنعدى على بابا صالح عشان نصلى كلنا سوا.

فتحت ريهام عينيها بسعادة واطمئنان وثقة فى موسى الذى برهن لها أن كل كلمة قالتها لها أديفا كانت صحيحة.

- صباح الفل ياسيد الكل.

قالتها ريهام لموشيه، ثم التفتت لمصرى وقبلته وصبحت عليه وشكرته، فكل الأطفال فى الشهور الأولى يهلكون أمهاتهم، لكن مصرى هادئ ومريح، ولايزعج أمه إلا قليلا.

- الواد دا طالع مؤدب زيك ياموسى.

- الحمدلله إنه ماطلعش لخاله.

فضحكت ريهام.

- حقة لوكان طلع لأشرف كنا رضعناه بيرة.

فانفجر موسى ضاحكًا.

- هتيجى تصلى معاى؟! ولا أروح أنا وبابا صالح.

قالها موسى منفذا بالحرف الواحد ما تم الاتفاق عليه مع أديفا.

- أنا اتصلت ببابا، وهو اللى هيعدى عليك، وهيعرفك كل حاجة، بابا بيحبك ياموسى ماتتكسفش منه، وأساله عن أى حاجة ماتعرفهاش، هو عارف الظروف اللى إنت مريت بيها.

علم صالح وأشرف كل شئ عن حياة موسى بطريقة ريهام فى عرض الموضوع، فتعاطف معه هو وأشرف الذى أكد أنه كان

يشعر بأن موسى من عائلة كبيرة وغنية، فتصرفاته كلها تشى بذلك، فهو يتصرف كما يتصرف الملوك والبرنسات.

– هو إنت قلتِ لبابا صالح إيه بالظبط؟!

قالها موشيه بخوف وترقب.

– ماتخافش، إنت راجل مظلوم، ولازم تعرف دينك، خليك مع بابا ياموسى.

– حاضر.

★★★

تعجبت سيدة من موقف موشيه منها، فزواجه ليس مبررًا لقطع علاقته بها، فالزواج شئ وما يحدث بينهما شئ آخر، علاوة على أن أى رجل لايستطيع أن يطلب من زوجته المحترمة أن تفعل ماتفعله سيدة المحترفة.

– اتغيرت ياموسى، خلاص يعنى، كدا، من ساعة ما اتجوزت ماشفتكش غير تلت أربع مرات، دا احنا كنا بنتقابل تلات أربع مرات فى الأسبوع ياراجل، دى الوقت تلات أربع مرات فى السنة.

– لامواخذة ياسيدة .

وأخرج من جيبة عشرين جنيها وأعطاها قائلا :

- هـو أنـا أقـدر اسـتغنى عنـك، كل مـا فى الموضـوع إن الشـغل كابـس عـلىّ شـوية.

- ماشـى ياموسـى براحتـك، يكـون فى علمـك، أنـا مـش هاجـي لـك تانـى لـو سـيبتنى أروّح الليلـة دى برضـه مـن غـير مايحصـل.

- هو انت خسرانة حاجة؟! ما أنا اديتك العشرين جنيه.

غضبـت سـيدة غضبًـا مصطنعًـا، وتحولـت، فأصبحـت كأنثـى الأسـد، وكـشرت عـن أنيابهـا، وقالـت وهـى تدخـل الغرفـة الداخلية فى المخـزن :

- طـب ورينـى ياموسـى مـش هيحصـل إزاى، وأنـا أصـوت وألم عليـك النـاس وأخـلى فضيحتـك بجلاجـل؟!!

فضحك موسى قائلا :

- إيه يابت، مشتاقة قوى كدا، إيه هتغتصبينى بالعافية يعنى؟!

- دا حقـى ياحبيبـى، بعـد ماعودتنـى عليـك عـاوز تخلـع، بـص ياموسـى لـو عـاوز تخلـع اخلـع البنطلـون، لكـن إنـت عمـرك مـا هتقـدر تهـرب مـن سـيدة.

فضحك موسى ودخل معها الحجرة قائلا :

- الله يخرب بيت شيطانك ياسيدة.

لم تكمـل سـيدة خلـع ملابسـها بينـما خلـع موشـيه ملابسـه جميعهـا إلا البوكـسر، فاقتحمـت عليهـما أديفـا الغرفـة.

– كـدا مايصحـش ياسـيدة، أنـا عارفـاكِ يابنتـى، انـت زى الفـل بـس ظروفـك وحشـة، تعـالى لى كل أسـبوع وخـدى الـلى فيـه النصيـب، لكـن موسـى انسـيه خالـص، دا عنـده بيـت وولـد.

ارتبكـت سـيدة، وغـاب عنهـا فجورهـا، وثقتهـا التـى كانـت تحـدث بهـا موسـى، تـوارت خلـف الخـوف الـذى سـيطر عليهـا والتعجـب مـن موقـف أديفـا الغريب وغـير المتوقـع، ارتدت ملابسـها واعتـذرت لهـا مؤكـدة أنهـا لـن تـراه بعـد اليـوم، بينما اختفى موشـيه.

★★★

فى المسـاء، كانـت ريهـام تجلـس عـلى كنبـة الأنتريـة وأمامهـا طبـق كبـير بـه كل أنـواع المسـليات، مـن اللـب بأنواعـه والسـودانى والفسـدق مـن أجـود الأنـواع الـذى يأتـى بـه موشـيه مـن مقلـة أزأز كل ليلـة أثنـاء عودتـه مـن الورشـة، كل بائعـى شـارع الغجر والسـوق يعطونـه أجـود أنـواع الفاكهـة والخضـار المخصـوص، فهـو رجـل لايهتـم بالثمـن ويدفـع دون فصـال.

ريهـام تمسـك برمـوت التليفزيـون وتتابـع برامـج التـوك شـو، فنظـر لهـا موشـيه وتذكـر إسـتر التـى كانـت هـى الأخـرى مغرمـة بنـشرات الأخبـار وبرامـج الحـوادث والجريمـة.

– بتبص لى كدا ليه ياموسى؟!

– باحبك، تحبى أبص الناحية التانية؟

– لأ.

قالتها بدلال.

– بص زى ما انت عاوز.

وهى تعدل من وضع قميصها، وتُحكم فوقه الروب.

– انا هاشرب حاجة ساقعة، تحبى أجيب لك معاى؟

قالها موشيه وهو يسير تجاه الثلاجة.

– لا ياحبيبى، إشرب إنت بالهنا والشفا.

قالتها وهى تتنقل بين القنوات حتى صرخت:

– الحق الحق ياموسى..

فى التليفزيون، «عائلة سوارس اليهودية رفعت قضية على الحكومة المصرية لاسترداد أملاكها التى أُممت سنة ١٩٦٦ والتى تقدر بمائتى مليون دولار»، وفى الحلقة المحامى الموكل من العائلة يتحدث مع المذيع مؤكدًا أن سياسة الدولة قد تغيرت، والآن أصبح بيننا وبين إسرائيل معاهدة سلام، علاوة على أن الاتجاه الاقتصادى الحالى يعظم الملكية الفردية ويتبع الخصخصة، فمن باب أولى أن تتنازل الحكومة عن الممتلكات التى أممتها بدون وجه حق، مداخلات تليفونية تسب وتلعن المحامى وتوسمه بالخائن العميل، زادت حدة اللقاء فسب الضيف الآخر المحامى وكاد أن يعتدى عليه، فطلبت ريهام من موشى أن يحضر لها التليفون فورًا فالرقم على الشاشة وهى تريد أن تقوم بمداخلة تليفونية.

- ألو مساء الخير.

- مساء النور يا افندم، ممكن حضرتك تعرفينا بنفسك وبعدين تقولى مداخلتك على طول، بس وطى التليفزيون، احنا على الهوا.

- حاضر، سعاد من المعادى.

قالتها ريهام متحسبة لأى مشاكل يمكن حدوثها.

- اتفضلى يا أستاذة سعاد.

- أنا شايفة إن الحق لازم يرجع لأصحابه بغض النظر عن الدين، فدول معظمهم ما ارتكبوش جريمة، وكان نفسهم يعيشوا بسلام.

- يعنى حضرتك مع الرأى اللى بيقول إن الممتلكات ترجع لليهود المصريين اللى هجروا من مصر.

- طبعا، كل واحد أولى بماله وبحقه، بغض النظر عن دينه.

ظهرت السعادة على وجه المحامى الشهير سعيد الديب، فهذه أول مكالمة تؤازره وتدعم موقفه بينما اشتعل غيظ ممثل الحكومة الذى طلب التحدث للمتصلة.

- انت عارفة دا معناه إيه يا أستاذة سعاد؟!

- طبعا عارفة، معناه إن الحق يرجع لاصحابه.

- يعنى انت موافقة إن مصر تدفع لاسرائيل حوالى ستة أو سبعة مليار دولار من قوت الشعب المصرى فى ظل الأزمة الاقتصادية اللى بنمر بيها.

فقاطعه سعيد الديب وقد تأسد بعدما سمع من يؤيده.

- آدى رأى الشعب المصرى اللى بيحب الحق وبيكره الظلم.

فأكملت ريهام:

- أنا شايفة إن كل صاحب حق أولى بحقه بغض النظر هو عايش فين، يعنى لو هو عايش فى مصر هتدوالله فلوسه؟!

أخذ المذيع خيط الحوار ونقل سؤال المتصلة لممثل الحكومة.

- لوكانت المشكلة هى خروج هذه الأموال من مصر، فما موقفكم لو كان هذا اليهودى المصرى يعيش فى مصر أو يريد أن يعيش فى مصر.

- أنا ماأقدرش أرد على افتراض مستحيل عمليًا، خلينا فى الواقع.

يحاول موشيه أن يمنع ريهام من مواصلة السخف الذى تمادت فيه، فقد غرق فى بحر الرعب والدهشة متسائلا، وهو ذاهل: لماذا تفعل ريهام ماتفعله وماذا تريد؟! ولكن ريهام أجابته بثبات وقوة مؤكدة أنها قد استخدمت اسما مستعارا، وعليه أن يُهدئ من روعه.

انفعل المحامى سعيد الديب قائلا لممثل الحكومة: هذا ليس ضربًا من الخيال كما تقول، فهناك يهود فى مصر يعيشون الآن، ومن حقهم أن يستردوا أموالهم، فقاطعه قائلا: هذا ضرب من الخيال.

– لسه معانا المتصلة الأستاذة سعاد من المعادى؟

قالها المذيع الذى استبقاها لمدة طويلة ليحدث توازنا فى الحلقة، فكل المتصلين مع الحكومة وهى وحدها تؤيد ماذهب إليه المحامى سعيد الديب.

– أيوة حضرتك، كلام الأستاذ سعيد هو اللى صح، وأنا أعرف ناس كانوا يهود وأسلموا وعايشين فى مصر وليهم حقوق، ومن حقهم يطالبوا بيها، وممثل الحكومة اللى بيقول إن دا افتراض مستحيل لا أنا باقول له إن الناس دى موجودة فعلا، وأنا أعرفهم.

رد عليها المحامى سعيد الديب راجيا منها أن تتواصل معه، فقطع المخرج المكالمة.

اشتعلت ثورة موشيه.

– إيه اللى إنت عملتيه دا، إنت غبية؟!

– اهدا ياموسى، اهدا ياحبيبى، هو فيه إيه !! مافيش داعى لده كله.

– مش عارفه فيه إيه؟! إنت وديتينا فى ستين داهية.

تحاول ريهام أن تهدئ من روعه دون جدوى.

– اهـدا ياحبيبـى، دا مجـرد برنامـج ماحـدش بيشـوفه، أول مـرة ألاقيـك عصبـى كـدا، أعمـل لـك كوبايـة لمـون تهـدى أعصابـك؟!

قالتهـا وهـى تتجـه نحـو المطبـخ لعمـل الليمـون، وعـادت بـه بعـد دقيقتـين ولكنهـا لم تجـد موشـيه؛ فقـد اختفـى.

لم تمر سوى ساعة واحدة ورن جرس التليفون .

– مسـاء الخـير يامـدام سـعاد، أنـا مـن إدارة المحطـة، عاوزيـن حضرتـك تشرفينـا فى القنـاة يـوم السـبت السـاعة عـشرة مسـاءً عـلى الهـوا، عشـان نتكلـم فى الموضـوع.

– موضوع إيه؟

– موضـوع الحلقـة، إحنـا هنبعـت لحضرتـك عربيـة تجيبـك مـن المعـادى وترجعـك بعـد الحلقـة.

– لا، أنا ماقدرش أطلع معاكم فى التليفزيون.

– طب ممكن تعملى مداخلة طويلة؟

– إزاى يعنى؟!

– حضرتـك هتبقـى ضيفـة للبرنامـج، وتتكلمـى براحتـك عـن طريـق التليفـون.

- موافقة.

- ألف شكر يا افندم، وبالنسبة لأتعاب المشاركة فى الحلقة ابعتى حضرتك العنوان واحنا نبعت لحضرتك الشيك.

- لا، أنا متنازلة عن الأتعاب، أنا باقول رأى بمايرضى الله.

- ألف شكر، مع السلامة.

وما إن أنهت المكالمة ووضعت السماعة حتى رن الجرس.

- ألوه، مدام سعاد؟!

فهمت ريهام فورا أن الأمر يتعلق بموضوع الحلقة.

- أيوه، مين معاى؟!

- أنا سعيد الديب المحامى ودى أرقامى.

وأملى عليها ثلاثة أرقام.

- كلمينى فى أى وقت.

- بخصوص إيه حضرتك؟!

- لو الجماعة اللى إنت اتكلمتى عنهم النهاردة فى الحلقة عاوزين يستردوا فلوسهم وأملاكهم ينضموا لى فى الدعوة، بدون مقابل؟

- يعنى إيه بدون مقابل؟! طب، وحضرتك هتستفيد إيه؟!

- نسبة ١٠٪ من التعويض.

- ياه، عشرة مليون دولار، دا كتير قوى يامتر.

- ليه هو المبلغ بتاعكم ميت مليون دولار؟!

- أيوة بس دا مش ملكى أنا دا ملك...

وضعت السماعة، الجرس يرن، بدأ الخوف يتسلل إليها، تنظر من بعيد للتليفون الذى يرن كأنه قنبلة موقوتة تحدث جرس إنذار فى لحظاتها الأخيرة قبل الانفجار، عادت وفصلت وصلة التليفون قائلة:

- عندك حق ياموسى.

★★★

كعادتها نزلت أديفا إلى مكتبها لإدارة العمل فى الورشة قبل أن تصل عقارب الساعة التى كانت تزحف إلى العاشرة صباحا، وما إن بدأت تتصفح الجرائد كعادتها حتى رأت المانشت الرئيسى لجريدة الأهرام يحمل خبرًا مثيرًا « عائلة سوارس اليهودية تسترد أملاكها التى تقدر بمائتى مليون دولار من مصر والحكومة المصرية أعلنت التزامها بتنفيذ حكم المحكمة فى غضون ثلاثة شهور».

وما إن انتهت من قراءة الخبر حتى كادت تجن، ومنعت نفسها من الصراخ الذى كان سيريحها ويخفض من غضبها، يالا النحس الذى يلازمها فلو لم يكن موشيه مطلوبًا فى جريمة قتل

لتقدمت هى الأخرى للمحكمة لتسترد ممتلكات زوجها الراحل التى تتجاوز قيمتها المئة مليون دولار، ولكن ماذا تفعل فى هذا الحظ التعس؟!

– صباح الخير يا أديفا.

وقع قلبها فى قاع قدميها، فلم تستطع أن تقوم من فوق الكرسى أو تتحكم فى رأسها التى صارت حملا ثقيلا على رقبتها يمنعها من الالتفات إلى صاحب الصوت، فمن صاحب هذا الصوت الغريب الذى يعرف اسمها فى شارع الغجر، ولماذا اقتحم المكتب بهذه الصورة؟! ولماذا ينطق باسمها كأنه يعرفها من زمن بعيد؟! تمالكت أعصابها وتماسكت ورفعت رأسها ودققت فى وجه هذا المقتحم الذى جاءها من الماضى البعيد، دققت فى ملامحه قائلة بثقة مصطنعة :

– أنا مدام كريمة، حضرتك مين؟! وعاوز مين بالظبط؟!

نظر إليها ضاحكًا، ثم سحب كرسيًا من أمام المكتب، ثم أخرج سيجارة من علبته وأشعلها، وأخذ نفسا ثم تكلم مع خروج الدخان من فمه قائلا :

– أنا إيزاك يا أديفا..

حاولت أن تتذكر دون جدوى.

– أنا ما اعرفش حضرتك، وعمرى ماعرفت حد اسمه إيزاك.

قـرر إيـزاك أن يرحمهـا مـن سـعيرالتفكير الـذى يلتهمهـا، فقـد تلفـت أعصابهـا وزاغـت عيناهـا، وظهـر التوتـر.

– ماتخافيـش يـا أديفـا، انـت بتدققـى فى الملامـح واحنـا أصـلا مااتقابلنـاش قبـل كـدا، لكـن اتكلمنـا كتـير.

كل هـذا وأديفـا مازالـت متوتـرة وتحـدث نفسـها «يبـدو أن السـلطات المصريـة قـد عرفـت عنهـا كل شـئ، وهـى الآن عـلى أبـواب النهايـة.

– أنـا إيـزاك يـا أديفـا، إيـزاك صاحـب جاكـوب، أنـا اللى سـاعدتك انـت وموشـيه وجبتكـم هنا.

اطمأنـت أديفـا، ولكـن توترهـا لازال لـه توابـع، فمـن الممكـن أن يكـون هـذا الرجـل مـن البوليـس ويريـد منهـا اعترافًـا تفصيليًـا فـلاذت بالصمـت.

– أنـا إيـزاك يـا أديفـا، لـولا أنـا كان موشـيه راح ورا الشـمس بعـد مـا قتـل شـاؤول، فاكـرة شـاؤول الطيـب الـلى دمـه فى رقبتنـا كلنـا.

– أنـا مـا اعرفـش حضرتـك بتتكلـم فى إيـه وعـن مـين، أنـا مـدام كريمـة وابنـى اسـمه موسـى، مسـلم مـصرى، عمـره مـاكان اسـمه موشـيه.

– مـا هـو أنـا الـلى خليـت أديفـا كريمـة، و موشـيه موسـى، أنـا الـلى عملـت جـوازات السـفر، وأنـا الـلى اشـتريت لـك البيـت ده فى

الشـارع دا بالـذات عشـان تكونـى فى أمـان، اقـول لـك؟! دقيقـة واحـدة، إسـتر بتسـلم عليـكِ.

– انا ما اعرفش واحده اسمها إستر أنا مسلمة ومصرية.

رن جـرس التليفـون، فـردت أديفـا بسرعـة كأنهـا تريـد أن ينقذهـا أى شـخص فى العـالم مـن هـذا الكابـوس.

– ألوه.

– إزيك يا أديفا.

– جاكوب، بكت، أشكر الرب.

– مسـيو إيـزاك صديقـى مـن الموسـاد، عـاوزك تثقـى فيـه وتعمـلى كل الـلى هيقـول لـك عليـه.

– حاضر ياجاكوب، حاضر ياحبيبى، شالوم.

ابتسمت وهى تنظر لإيزاك قائلة :

– تـشرب إيـه ياحبيبـى، أهـلا بيـك، أنـا آسـفة، مـن فضلـك سـامحنى.

– ولا يهمـك، أنـا مقـدر موقفـك، وموافـق عـلى كل الـلى عملتيـه، بالعكـس دا يطمنـى أكـتر ويأكـد لى إنـك هتنجحـى فى المهمـة الـلى هاكلفـك بيهـا.

– مهمة؟!

- بصى يا أديفا إنت جربتِ الشغل معاى، كل الكلام اللى وعدك بيه جاكوب اتحقق، وهو كلام من المستحيل يحصل أصلا إلا بموافقتى.

- طبعا، طبعا، يامسيو إيزاك أنا لغاية دى الوقت مش مصدقة اللى حصل، ولا أنا ولا موشيه نقدر ننكر.

ونظرت إليه بتأهب.

ياريت تفهمنى من فضلك إيه المطلوب مننا بالظبط؟

أخذ إيزاك نفسًا من سيجارته، ثم قال لأديفا التى لم يصل اطمئنانها إلى الحد المقبول، ولازالت تشعر بتنميل فى قدميها لايمكنها من القيام، فهى لم تقو حتى على السير إلى البوفيه لتقديم مشروب لإيزاك.

- بصى ياأديفا، أنا جاى أعقد معاكِ صفقة، صفقة العمر.

- وأنا موافقة من غير ما أسمع التفاصيل يامسيو إيزاك.

قالتها باندفاع، ودون تردد.

- لأ يا أديفا لازم تسمعى وتفهمى كويس قوى وتقررى..

- حاضر، اتفضل، أنا سامعة أهو.

- بس لازم موشيه يكون موجود، لأن دوره مهم وهيكمل دورك.

– أنا أديفا وموشيه، اطمن وكلمنى باعتبارى الاتنين.

– عظيم، الصفقة هات وخد، شهادة من المحكمة الجنائية فى إسرائيل تفيد إن شاؤول جلعاد مات منتحرًا، ودا معناه إن مافيش جريمة قتل، وزيادة فى التأكيد شهادة من الأمن المصرى والإسرائيلى والإنتربول أن موشيه ليس مطلوبًا فى أى جريمة فى أى مكان فى العالم.

– معقولة؟! إزاى؟!

– زى ما عملت اللى فات هاعمل اللى جاى، بس لازم تفتحى مخك معاى.

شعرت أديفا أنها فى ملاهى الأحلام، تخرج من حلم لتدخل فى حلم آخر، وهذا إيزاك الساحر الذى يفسر الأحلام ويحققها فى نفس الوقت، فلاذت بالصمت كأنها مستمتعة بهذا الحلم الجديد والغريب والمريب فى آن واحد ثم جاءتها نوبة صحو فنظرت إليه قائلة :

– هات وخد، والتمن يامسيو إيزاك؟

وقف إيزاك ودار حولها فى غرفة المكتب ممسكا الجريدة من أمامها ثم قال :

– انت قريتِ جرايد النهارده؟

– أيوه.

- قريتيها كويس؟

- أيوه قريتها كويس جدًا.

- وياترى لفت نظرك حاجة فيها؟

- طبعًا، عائلة سوارس اللى استردت أملاكها، واتمنيت...

تصمت أديفا للحظات ثم تكمل:

- أنا دى الوقت فهمت، عاوز تنجى ابنى من جريمة القتل فى إسرائيل وتخلى المصريين يقتلونا احنا الاتنين هنا.

- يقتلوكم؟! ليه؟! وإزاى يا أديفا، لأ طبعا.

- إنت عاوزنا نرفع قضية على الحكومة المصرية زى عيلة سوارس صح؟!

- صح.

- بس إحنا مش زى عيلة سوارس اللى عايشين فى أوروبا وفى أمريكا وفى إسرائيل.

وبكت مكملة :

- إحنا عايشين فى مصر، فى مصر يا مسيو إيزاك الناس ممكن يقطعونا بأسنانهم ..

- بصى يا أديفا المطلوب منك تعملى توكيل لنفس المحامى اللى كسب قضية سوارس سعيد الديب.

فقالت باكية:

- انا مش هاعمل توكيل لحد، ولو كدا كدا هنموت؟! موتنا دى الوقت.

- مين جاب سيرة الموت؟! انت وابنك هتفضلوا فى أمان، رجالتى فى كل حتى فى مصر، فى كل مكان لينا رجال مخلصين أصدقاء إسرائيل، ماتخافيش أنا لما وعدتك إنى هاحمى موشيه..

فقاطعته وهى تحاول أن تبدو متماسكة.

- الحقيقة، أنا عارفة وشفت بنفسى، لكن اعذرنى يامسيو إيزاك أنا مش هاقدر اسمع كلامك المرة دى.

غضب إيزاك وأحمر وجهه فتغيرت لهجته ونبرة صوته.

- هيتم القبض عليكم حالا، إنتِ وموشيه.

- طب موشيه معروفه جريمته، لكن أنا جريمتى إيه؟!

ضحك إيزاك ضحكة عالية هستيرية متسائلا :

- جريمتك إيه؟!

وأديفا تتابع تطورات الحديث بقلق..

- التزوير ياأديفا، إنت خرجتِ من إسرائيل بجواز سفر مزور ودخلتِ مصر بيه وبكدا تبقى مطلوبة فى البلدين، وأنا ممكن

أخـلى أصدقائـى فى مـصر يقبضـوا عليـكِ حـالا ويحطوكـم فى السـجن، وسـاعتها المسـاجين لمـا يعرفـوا إنكـم إسرائيليـين هيقطعوكـم بأسـنانهم.

قـررت أديفـا أن تلغـى عقلهـا، وتضـع كل ثقتهـا فى إيـزاك الـذى لم يعدهـا بشـئ إلا نفـذه، وهـى عـلى كل حـال ليـس لهـا خيـار.

- إدينـى اسـم المحامـى والعنـوان وأنـا هآخـد موسـى ونعمـل التوكيـل الصبـح بـدرى.
- عظيـم، وأنـا أوعـدك إن مافيـش مخلـوق ولا هنـا ولا هنـاك يقـدر يمسـك إنـت وابنـك طالمـا أنـا مـش عـاوز.
- شكرًا يامسيو إيزاك.

أعطى إيزاك لأديفا كارت سعيد الديب المحامى قائلا :

- الـكارت فيـه الاسـم والعنـوان، مـبروك عليـك بـراءة موشـيه، والمتـين مليـون دولار يـا أديفـا.
- همة بقوا ميتين مليون دولار؟!
- أيوه، احنا قيمناهم بكدا، وعندنا اللى هيشترى.
- والفلوس دى هناخدها أنا وموشيه، ولا إنتم اللى هتاخدوها؟
- احنا مين ياأديفا؟
- إسرئيل، الحكومة يعنى.

– ماحدش هيقرب من فلوسك وفلوس ابنك.

وأعطى إيزاك لاديفا حقيبة قائلا :

– دول مليون جنيه، خليهم معاكِ هدية من إسرائيل وطنك، أكيد هتحتاجيهم عشان مصاريف القضية.

– مليون جنيه كمان، كل دا ليه؟!!..

شالوم يا أديفا.

قالها إيزاك وهو يهم بالانصراف متجاهلا سؤال أديفا، فقالت له أديفا وهى تتفحص المليون جنيه :

– شالوم يامسيو إيزاك.

لأول مرة منذ سبع سنوات، وقتما جاءت هنا، تضع أديفا رأسها لتنام وهى جالسة على المكتب، فراحت فى نوم عميق لم تستيقظ منه إلا على التليفون الذى رن فأجابته أن الرقم غير صحيح، لم تضع السماعة بل اتصلت هى بموشيه وطلبت منه أن ينتظرها فى بيته فلديها موضوع خطير لن تستطيع أن تحدثه فيه فى الورشة .

– صباح الخير ياريهام ياحبيبتى.

– صباح الفل ياماما، جيتِ فى وقتك.

– خير يابنتى؟!

–

- موسى زعلان منى، وعمال أحايله ومش عارفة أعمل إيه عشان أصالحه، والله ياما ما الموضوع كله هزار فى هزار.

نظر موشيه لأديفا قائلا :

- يرضيكِ ياما ما تتكلم فى التليفزيون على الهوا مع المحامى وتقول إن عيلة سوارس من حقهم يرفعوا قضية على الحكومة المصرية وياخدوا أملاكهم، دا جنان.

ضحكت أديفا قائلة :

- إيه الجنان اللى فيه؟! يعنى اللى تقول الحق تبقى مجنونة، والله جدعة ياريهام.

- جدعة؟!

قالها موسى وقد شك فى قوى أديفا العقلية، فنظر إليها متعجبًا، فحدقت فى عينيه قائلة :

- وإحنا كمان لازم ناخد أملاكنا.

لازال موشيه يتعجب وهو يسمع ماتقوله أديفا؛ فكل كلامها يوافق هوى ريهام فظل بينهما ذاهلا.

ضحكت ريهام ضحكة سعادة فسكن وجهها كله بالبشاشة والفرح بينما ظل وجه موشيه مكفهرا، ولم يعد يستطيع أن يحافظ على تركيزه فهو لايستوعب مايدور حوله.

- ماتقومى تعملى لنا الشاى ياريهام.

– حاضر ياماما.

وما إن تركتهما ريهام حتى قصت عليه ماحدث، فارتبك وسيطرت عليه فكرة واحدة مفادها ألا سبيل من الفرار من هذا الجحيم المنتظر إلا العودة فورًا لإسرائيل. فغضبت أمه وقالت منفعلة :

– ومراتك وابنك وبلدك.

– دى مش بلدى، وبعدين إنت عارفة كويس أنا اتجوزت ريهام ليه عشان...

– ماتخرفش ياموشيه.

قالتها أديفا وهى تنهره مكملة :

– دى بلدك اللى اتولدت فيها واتولد فيها أبوك وأمك، وانت دى الوقت مسلم وبتصلى، وابنك مصرى وأمه مصرية.

عادت ريهام بالشاى فقدمته لأديفا وقالت :

– عندى رجاء ياماما.

– اتفضلى ياحبيبتى.

– بالنسبة للمحامى، ياريت يكون سعيد الديب، دا محامى جامد جدًا، وأنا معاى تليفونه.

– ايوه يابنتى عندك حق، مش هو صاحب الكارت دا؟

قالتها أديفا وهى تعطيها الكارت الذى أخذته من إيزاك، فردت مبتسمة :

– أيوة تمام هو دا، دا أكبر محامى فى مصر وهو اللى كسب القضية.

وقامت لتجلس جوار أديفا وهى سعيدة:

– شفتِ ياماما وش مصرى حلو عليكم قد أيه؟

– طبعا ياحبيبتى، ربنا يخليه لنا ويحفظه، خلى بالك منه دا بقى مليو نير .

فضحكت ريهام من قلبها وشاركها موشيه ولكن ضحكته كانت مفعمة بالقلق.

– ربنا يتمم بخير، وناخد فلوسنا، ونبقى ملوك فى مصر، دا الثروة دى تعدى ميتين مليون دولار.

– يعنى أكتر من مليار جنيه.

قالها موشيه، وهو يبتسم لريهام.

– ياه دى فلوس كتير قوى، مالهاش لا أول ولا آخر يابنتى.

★★★

قررت أديفا أن تكمل المشوار حتى نهايته، فليس فى يدها إلا الانصياع للأوامر، وكل الظروف مهيئة لعودة أموال إبراهيم مزراحى، وإسرائيل مصممة أن تحارب مصر فى كل الأحوال

وبكل الطرق وهى الآن قد أصبحت أداة حرب فى يد الموساد، على كل حال فهذا حق إبراهيم مزراحى ولابد أن يعود.

بدأت الاستعداد للحرب فأدركت أديفا أن التخطيط المحكم والقرارات الصائبة هى التى تجعلها تخرج من هذه الحرب ظافرة بالنصر.

- بص ياحسيبة، دورك قرَّب قوى.
- تحت أمرك ياستنا، قولى لى المطلوب بالظبط
- موسى ومراته وابنه تأمنهم أربعة وعشرين ساعة.
- من مين يامدام؟
- هى تفرق؟
- طبعا، كل برغوت على قد دمه.
- لأ ياحسيبة، الموضوع أكبر من كدا بكتير، دا مش برغوت دا ديناصور.
- قولى لى بس عاوزة تحميهم من مين؟ وبدال ما نستناه نروح نخلص عليه، ويادار مادخلك شر.
- تخلص على مين؟!
- اللى عاوز يئذى أستاذ موسى.
- تخلص على الحكومة؟!

أصيب حسيبة بصدمة، فهذا أول اختبار له، ويبدو أنه سيرسب فيه لا محالة، فلو كان يستطيع أن يحمى موشيه من الحكومة لكان عليه من باب أولى أن يحمى نفسه.

- الحكومة !!، دا الموضوع كبر قوى كدا يامدام.

- أيوه ياحسيبة الموضوع كبير وعاوز ناس كبار، ولو شايف نفسك مش قدها قول لى من دى الوقت.

سيطر الخوف على حسيبة فقد ذاق مر السجن ولم ينعم بالحرية إلا أياما معدودات، ويبدو أن طريق أديفا ليس مجرد مكسب كما كان يعتقد؛ فهذه المرأة ستخوض حربًا وستأخذ منه أكثر مماستعطيه، على عكس ماكان يتصور.

- بص ياحسيبة، الوقت ضيق، ولازم تاخد قرار عشان أشوف وأقرر إنا كمان هاعتمد عليك ولا أجيب رجالة تانيين.

نظر إليها حسيبة متوترًا مترددًا، فالكلام لايريد أن يبرح لسانه ويخرج من فمه.

- إحنا نفديك بروحنا يامدام.

- الموضوع مش كلام.

قالتها بلهجة جادة مليئة بالحزم واكملت :

- إحنا داخلين على حرب، رجالتك قد إيه؟

- أربعة وأنا خامسهم، بس الواحد منهم بعشرة، مسلحين برشاشات آلى ومعانا ذخيرة حية، ولو خلصت نقدر نجيب تانى.

- تمام، هاتهم.

- أجيبهم فين يامدام؟!

- أنا عاوزاهم يسكنوا هنا عندى فى الشقة اللى فوق شقتى وكأنهم عمال، ويخفوا السلاح خالص ولو حصل فى الأمور أمور بإشارة منى تفتحوا النار على الجميع، فى الهوا ياحسيبة أوعوا تقتلوا أى حد، أهم حاجة يهربوا ويوسعوا لنا سكة لحد مطار القاهرة أو سفارة إسرائيل اللى فى الجيزة، عارفها؟

- أيوه عارفها، اللى جنب جنينة الحيوانات؟

- أيوه ياحسيبة، بس لو افترضنا إنكم ضربتوا كام عيار فى الهوا وماحدش جرى !

- أيوه يامدام، نعمل إيه فى الحالة دى؟

- تضربوا فى الرجلين، وهما بمجرد مايشوفوا الدم الباقى هيجرى.

- أى حد يامدام؟!

- أى حد ياحسيبة، وممكن ربنا يستر وكل الأمور تعدى على خير، بص ياحسيبة، أنا وابنى موسى لينا ميراث كبير، ملايين ياحسيبة ولازم نرفع قضية على الحكومة عشان ناخد حقنا.

- هترفعى قضية على الحكومة؟ دا معناه إنهم يا إما يقتلوكم ياإما تعيشوا فى السجن على طول، يامدام هو فيه حد يقدر ياخد من الحكومة جنيه.

- خليك فى شغلك، وخلى الرجالة جاهزين، يمكن الأهالى هما اللى يحاولوا يخلصوا علينا، امنعوا أى حد يحاول يمس ابنى، فى الهوا دى أول مرحلة، وبعديها الضرب فى الرجلين، ولو اضطرينا يبقى الضرب فى المليان.

- والحرب دى هتبتدى امتى؟

- إحنا اللى هنبتديها ياحسيبة، خليك جاهز، واستنى منى إشارة البداية.

نظر إليها حسيبة والطمع والشر يقفزان من عينيه.

- والفلوس يامدام؟

- ماتحملش همها خالص، الفلوس كتير، كتير قوى.

- وأنـا جاهـز يامـدام، جاهـز قـوى، ومعـاكِ لـو عـاوزة تحاربـى إسرائيـل.

نظـرت إليـه هامسـة لنفسـها: «لأ وانـت الصـادق ياحسـيبة، أنـا عـاوزة أحـارب مـصر».

تحمس حسيبة وقرر أن يدخل العملية فالمال وفير.

- بـصى يامـدام لازم كلكـم تبقـوا فى مـكان واحـد عشـان التأمـين يبقـى أسـهل، لازم أسـتاذ موسـى يرجـع يعيـش معـاكِ هنـا.
- عنـدك حـق ياحسـيبة، أيـوه كـدا، أنـا كـدا اتطمنـت لأنـك بـدأت تفكر .

سعيد الديب

وكأن مكتبه الكبير الشهير فى القاهرة قد تخصص فى الدفاع عن المصالح الإسرائيلية فسعيد الديب المتصهين ذاع صيته عندما وقف فى المحكمة وجلجل وصال وجال وحصل على البراءة للجاسوس الإسرئيلى عزام عزام الذى نجاه من حبل المشنقة بأعجوبة وخلصه من يد المصريين سالمًا غانمًا عائدًا للحياة، بعدما كان واقفًا على أبواب الموت.

وجه غامض، وعينان عميقتان، وملامح جادة، لايبتسم ولا يضحك إلا تمثيلا، متوسط الطول، عقله قلما يتكرر، يملك مفاصل مهنته، وأدوات هدم جاهزة لأية اتهامات محتملة يمكن أن يوجهها أى شخص لموكليه، محامى الشيطان يتمتع بفهم خاص للقانون، فهو يدرس القانون جيدًا ليقف على ثغراته التى يستطيع أن يهرب من خلالها بموكله من أى عقاب، وككثير من المحامين رغم يقينهم أن موكليهم مذنبون اشتهر سعيد الديب بالدفاع عن الجواسيس وأعداء الوطن لقاء ملايين الدولارات.

– أهلا وسهلا يامدام كريمة، والله أنا سعيد جدًا بتشريفك مكتبى.

ثم نظر إلى ريهام قائلا :

- شرفتينا يامدام سعاد، ولا نقول ريهام بقى؟

وضحك ضحكة صفراء مصطنعة.

- طبعا ريهام يامتر، حضرتك عارف كان لازم أقول اسم مستعار عشان الحلقة تعدى على خير.

- بصى يامدام، احنا فى بلد فيها قضاء شامخ والحكم عنوان الحقيقة، واحنا بعون الله معانا الحق، سيبك من الشعارات والمزايدات بتاعة البرامج الفضائية...

قاطعته أديفا قائلة:

- احنا عاوزين نعرف اتعاب حضرتك كام، قد إيه بالظبط، وممكن ندفع بعد ما نستلم المبلغ ولا لأ.

- الأتعاب اتدفعت بالكامل.

فنظرت ريهام ذاهلة الى إديفا التى لم تبد أى أثر لمفاجئة.

- كل المطلوب، التوكيل، وانا علىّ الباقى.

- أهو.

قالتها أديفا وهى تعطيه التوكيل فابتسم قائلا :

- انتم كدا دوركم انتهى، تتوكلوا على الله، وتستنوا منى تليفون أقول لكم فيه تعالوا استلموا أملاككم.

نظرت إليه ريهام متعجبة من فرط ثقته قائلة :

- هو حضرتك واثق كدا إنك هتكسب القضية.

- طبعا.

لم تزل كل وسائل الإعلام تتحدث عن قضية سوارس التى تمكن سعيد الديب من إنهائها لصالح موكليه، فهو يتنقل بين القنوات الفضائية كل ليلة ويتقاضى أتعابه لمجرد الظهور على القنوات بالدولار، كما حرصت كل وكالات الأنباء العالمية على إجراء حوارات موسعة معه، فأراد أن يثبت كفاءته مؤكدًا للجميع أن نجاحه فى القضية لم يأت صدفة ولكنه عن دراسة وجهد وفقه قانونى ففجر القنبلة الثانية معلنًا أنه كما حصل على حكم يمكن عائلة سوارس من أملاكها سيحصل قريبًا على حكم آخر فى قضية أصعب وهى قضية عائلة مزراحى التى لم يبق منها إلا ثلاثة أفراد، أديفا اليهودية التى ولدت فى مصر ثم هاجرت إلى إسرائيل ثم عادت إلى مصر وأعلنت إسلامها وحجت إلى بيت الله الحرام واسمها الآن كريمة عبدالسلام، وابنها موشيه الذى ولد أيضا فى مصر وهاجر مع أسرته إلى إسرائيل ثم عاد مع والدته إلى مصر بعدما أعلن إسلامه وحج بيت الله الحرام وتزوج من مصرية مسلمة وأنجب منها طفلا سماه «مصرى» من شدة حبه لمصر.

تناقلت كل الصحف عن سعيد الديب هذه التصريحات وامتلأت الصحف بأخبار أديفا وموشيه ومصرى حتى أن معظم

المشاهدين للبرامج الحوارية والمعلنين كانوا يطالبون القنوات باستضافة أديفا للتعرف عليها فجاءتها الفرصة، فأديفا التى تملك قوة ساحرة وقدرة على إقناع أى شخص بأى شئ باستخدام كل شئ دون حدود، لادين، لاوطن، لا شئ يقف أمام أديفا عندما تريد أن تحقق أهدافها، تعاطف معها كل من سمع قصتها ابتداء من الصحفيين ومعدى البرامج والمذيعين إلى كل مشاهد يراها فى التليفزيون، وكل قارئ يقرأ قصتها فى الجرائد.

استطاع سعيد الديب أن يمهد لقضيته الرابحة عن طريق وسائل الإعلام خالقا رأياً عامًا مؤيدًا ومتعاطفًا مع أديفا خاصة من التيارات الدينية التى رأت أن أقل مكافأة لهذه السيدة التى وصفوها بالعظيمة أن تحصل على ممتلكاتها بعدما تركت ظلام الصهيونية واعتنقت نور الإسلام، فلم يجد المتحدث الرسمى باسم الحركة السلفية بالإسكندرية أى غضاضة فى أن تسترد السيدة كريمة عبدالسلام ممتلكاتها مؤكدًا أن هذا حقها شرعًا، وطالما أن الحكومة تخصخص كل شئ فأولى بالممتلكات أن تعود لأصحابها بعد فشل تجربة التأميم التى قام بها عبدالناصر.

اصطحب سعيد الديب أديفا معه فى كل البرامج الفضائية فاستطاعت أن تكسب عطف كل من يستمع إليها بأسلوبها الخاص وذكائها الخارق، فقد كانت تنظر للكاميرا وتحدثها كأنها شخص أمامها تريد تجنيده، كما كانت تفعل مع صالح وحسيبة وريهام وكل شخص تقابله.

نجحت فى إقناع الكل أنها لا تريد غير الحق، وأنها ستقوم بمشروعات خدمية لتطوير العشوائيات خاصة شارع السكة الذى كان اسمه شارع الغجر لكن هذا الزمن قد ولى، فمن حق هؤلاء الناس البسطاء أن يعيشوا حياة كريمة، وأن الله هو الذى أرسل إليها هذا المال لإسعاد هؤلاء البشر المظلومين.

– ماهو أول مشروع ستقومين به فور استلامك الثروة التى تقدر بأكثر من مليار جنيه.

سألها المحرر الفخور بأنه يجرى حوار مع سيدة عظيمة تحمل هذا القلب الطيب، فأجابت بأنها ستبنى مصنعا للحلوى الشرقية والجافة لأنه يحتاج إلى عمالة كبيرة، وستعمل فيه الفتيات والأرامل خاصة أصحاب السوابق منهن والضالات اللاتى عملن بالدعارة لا لشئ إلا الفقر والجهل، فصعق المحرر مما قالت، فاعاد سؤالها قائلا :

– أتعنين ما تقولين حقا؟

– نعم.

– وهل لى أن أنشر عنك هذا التصريح؟

– نعم.

– هل تفكرين فى مشروعات أخرى؟

- سأبنى مساكن وأخصص شقة لكل شاب من شارع الغجر، ومستشفى كبيرا يعالج الفقراء ويقدم لهم الدواء مجانًا مع تخصيص مبلغ شهري. حتى يتمكنوا من تناول الغذاء المناسب الذى يحميهم من المرض، سيكون شارع الغجر هو شارع الأمل والسعادة إن شاء الله.

- أرى أن سيادتك لا تفكرين إلا فى شارع الغجر وسكانه، فهل هذا صحيح أم إنك ستساعدين الفقراء عموما؟

- مصر دولة معظم سكانها فقراء، وهذا المبلغ أكثر من مليار جنيه بقليل لن يفعل شيئا أمام حجم الفقر المذهل، ولكنه يفعل الكثير ويغير حياة الناس فى شارع الغجر الذى سيتعلم أبناؤه فى مدرسة محترمة وسيعالجون ويأكلون ويعملون دون السؤال عن صحيفة السوابق التى تقف حائلا أمام التائبين الذين يبحثون عن فرصة عمل، فإن هؤلاء الناس قد دفعهم الفقر والجهل لارتكاب بعض الجرائم، ومن حقهم أن يتوبوا ويبدأوا حياة جديدة، وأنا بهذا المال سأساعدهم على ذلك.

توالت اللقاءات التليفزيونية حتى أصبحت أديفا من سيدات المجتمع ومثلا أعلى للمرأة المصرية والعربية فاحتفلت بها كل الجمعيات الخيرية واعتزت بها الجمعيات النسائية وكرمتها .

★★★

بعد ليلة حب ومتعة قضاها موشيه مع زوجته السعيدة ريهام استيقظت ريهام بعد الظهر، فالليلة كانت ساخنة، وقد بذلت كل ما فى وسعها كى تسعد زوجها الحبيب - فلم تجده جوارها فأدركت أنه قد استيقظ من نومه فى موعده كما اعتاد كل يوم.

- موسى إنت فين ياحبيبى؟

قامت تبحث عنه فى الشقة فلم تجده، لا هو ولا مصرى، فأخذت التليفون وقبل أن تتصل حدثت نفسها: «وكمان واخد مصرى معاك وسايبنى نايمة؟ ماشى ياموسى».

قررت ريهام ألا تتصل به، وتصطنع الغضب، فهو لم يف بوعده وخرج رغم تأكيده بالأمس أنه لن يخرج ويتركها وحدها، ولكن سرعان ماتراجعت فقررت ألا تكلمه ولا تسأله إلا عن مصرى فقط، وهذه ذريعة يعرف بها أنها غاضبة، أخذت التليفون واتصلت، جرس التليفون يرن فى الورشة وفى بيت حماتها، فهو خط واحد، ولكن لا أحد يجيب، فعاودت الاتصال، ولكن لا إجابة، فاتصلت بوالدها الذى أكد لها أن الورشة مغلقة وأن زوجها وحماتها لم يظهرا اليوم.

انتصف الليل، ولم يعد موسى ولا مصرى، فاتصلت بأبيها الذى أكد لها كاذباً أن أديفا قد قالت له منذ يومين إنها ستزور السيد البدوى هى وابنها وحفيدها فور أن تكسب القضية وتتسلم أملاكها وقد استلمتها أمس .

لم تستطع كلمات صالح عبر الهاتف أن تضع حدًا لاندفاع شلال الدموع، فريهام تنهار وتغرق فى بحور القلق، ولا تفكر إلا فى مصرى وتحدث نفسها : «أين ابنى، أين زوجى؟».

– إن شاء الله خير يابنتى، هو موسى صغير، ولا الست كريمة؟! دى مخها يوزن بلد.

– صحيح يابابا، دى ست كاملة بصحيح.

قالها أشرف.

رن جرس التليفون فهرولت ريهام قائلة :

– أكيد هو.

فقال لها والدها وهو يبتسم.

– مش قلت لك ياريهام فى السيد البدوى.

– ألوه، مساء الخير يامدام ريهام.

– مين معاى؟

– أنا سعيد الديب المحامى.

– خير يا أستاذ سعيد.

– مبروك يامدام.

– على إيه.

- الأستاذ موسى كتب لحضرتك البيت والورشة، والعقود مسجلة وعندى، ياريت حضرتك تيجى أو تبعتى حد يستلمها.

- ليه هو موسى فين؟! أنا مش عاوزة حاجة، ابنى فين؟ أرجوك..

قاطعها سعيد الديب بحزم:

- كل دا ولسه مش فاهمة، ولا مش عاوزه تفهمى، ولا مش قادرة تصدقى، مدام أديفا ومسيو موشيه وابنك مزراحى رجعوا بلدهم إسرائيل، مبروك عليك الشقة والعربية.

سقطت ريهام فى مكانها دون أن تنطق.

السيرة الذاتية

عماد سالم

- شاعر وكاتب مسرحى وروائى مصرى، ولد فى السادس من ديسمبر ١٩٦٩ فى قرية العلاقمة – مركز ههيا – محافظة الشرقية .
- درس بكلية الحقوق جامعة القاهرة .
- عمل فى مجال الطباعة والنشر وأسس مؤسسة يسطرون للنشر وتولى مجلس إدارتها ٢٠١٢ وحتى الآن .
- ساهم فى الحركة الثقافية المصرية فأسس جماعة النيل الأدبية ٢٠٠٨ .
- عضو اتحاد كتاب مصر .
- عضو جمعية الأدباء .
- عضو المنتدى الثقافى المصرى .

★ أهم الإصدارات

الروايات

١. ليزا .

٢. أبو خشبة .

٣. كعابيش .

٤. يهودى فى شارع الغجر (أديفا) .

الشعر

١. تلغراف .

٢. غيطان الليل (أغانى مصرية) .

٣. الحب فى ميدان التحرير .

٤. أسرار مريد .

٥. مركب أفكار .

المسرح

١. مسرحية : إنسان ملاك .

٢. مسرحية : عودة الأميرة .

٣. مسرحية : فرحة الغلبان .

٤. مسرحية : أحلام عبدالراضى .

٥. مسرحية : جوز حبيبتى .

٦. مسرحية :عالم غريب .

٧. مسرحية: رقصة يناير.

٨. مسرحية: ليالى.

٩. مسرحية: فستان فرح.

١٠. مسرحية: مجانين فى خطر

١١. مسرحية: ناشط سياسى.

١٢. مسرحية: الرجل الأحمر.

الكتب

١. آخر محطة للوطن (مقالات نشرت فى أهم الصحف المصرية والعربية : الشروق، اليوم السابع، الفجر، الوفد، الديار، السياسة الكويتية، وغيرها)

وله تحت الطبع :

١. فى ظلال الأدب .

صدرت حول مؤلفاته العديد من الدراسات منها :

١. (ليـزا) عمـاد سـالم .. قـراءة في تاريـخ الحركـة الإسـلامية .. و العـودة إلى (واقعيـة القـاع)..

د / حسام عقل : رئيس ملتقى السرد العربى .

٢. (ليزا) عماد سالم ..الشخصية المصرية قبل الطوفان ..

د عبدالرحيم درويش :

أسـتاذ الدرامـا ، ورئيـس قسـم الإعـلام بجامعتـى دميـاط والـوادى الجديـد .

٣. مسرح عماد سالم وعالمه والموشى بالأرق ...

الكاتب والناقد المسرحى د / أمين بكير .